١١٢٦

دار م. للنحاس

كبير

1126

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

الخاطفة

ميراندا لي

الملهمة

ظنت ديللي البريئة انها ستكون سعيدة

بخطبتها المزيفة من شاعر مشهور، لكن الأمور

تغيرت عندما مات في ظروف غريبة وغامضة.

وجدت نفسها تقبل دعوة لزيارة والدته

الضريرة، فاستقبلها ابنها راوول ببرود

شديد لاقتناعه بأن ديللي هي سبب موت اخيه،

لكنها استطاعت اقناعه بعكس ذلك.

www.elromancia.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

« نحن لا نعرف الكثير عنك يا دليلة.»
« ماذا تودين ان تعرفي؟»
« ابدئي بوصف نفسك.»
« ارتدي فستاناً اخضر، طويلة القامة وشعري احمر.»
« هذا ليس كافياً راوول، انا مضطرة ان التجيء اليك، ستكون انت عيني. صفها لي.»
حدجها بنظرة وقحة بعد ان اسند ظهره بارتياح وقال: « البشرة ناعمة جداً، لون العينين رمادي شاحب، لا يتلاءم مع لون الشعر، الانف عادي ... اما فمها ... كبير، ولو كنت سأرسمه لبدأت بمسح حمرة الشفاه عنه ...»
كان صوته ساخراً بوضوح وكأن اضطرابها كان سبباً في انتعاشه.

ميراندا لي

ولدت ونشأت ميراندا في نيو ساوث وايلز في اوستراليا. عملت لفترة قصيرة عازفة على آلة الفيلونسيل في فرقة موسيقية، ثم انتقلت الى العمل في برمجة الكمبيوتر. بعد زواجها انتقلت للعيش في الريف، وكان ان قلل من الفرص المتاحة للعمل هناك. لكن الاهتمام ببناتها الثلاث شغل وقتها تماماً. وبعد تشجيع اسرتها ابتدأت بالكتابة سنة ١٩٨٢.

Abir 1126

الملهمة

ميراندا لي

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com
مرمورية

الفصل الاول

«عليك ان تتزوجي عملك.» هذا ما قاله لها عمها قبل اربع سنوات، عندما عرض على ديللي ايفريت ان تعمل معه في دار النشر التي يملكها، وها هو يعود الآن الى تكرار قوله هذا قبل ان يرسلها الى فرنسا، لتأدية مهمة غريبة الى حد ما.

وبما انها كانت قد تزوجت عملها فعلاً، فقد قبلت ان تعيش كذبة ولمدة سنة كاملة امام الرأي العام، كذبة جعلتها تربط اسمها باسم ذلك الشخص المعروف جداً رايس مورغان، كذبة اعتقدت انها تستطيع ان تنساها بعد موت هذا الشخص. انها ترتجف عندما تستعيد ذكرى تلك الاشهر الصعبة، او لربما وبكل بساطة كان ذلك بسبب الرياح التي تهب على رصيف المحطة. لأن الهواء ما زال بارداً في أواخر الربيع، وهي ترتدي معطفاً خفيفاً من الصوف الذهبي اللون مما يضفي على شعرها الاشقر انعكاساً نحاسياً.

ولم تستطع ان تحتمل الجو المعبأ بالدخان في صالة الانتظار، لأن القطار الذي أقلها الى هنا، هذه الزاوية الواقعة الى الشمال الشرقي من الهضبة المركزية، كان قد وصل قبل موعده المحدد ببضع دقائق.

قرية سان جوست كانت معلقة في الجبل الذي يبعد

قليلاً عن المحطة ، محاطة بجدار من الاحجار الجافة. اسطحة بيوتها حمراء ، لكن البيوت مرصوفة الواحدة تلو الاخرى ، ومعتمة ، مما اعطى ديللي انطباعاً بانها امتداد طبيعي لأرض بركانية .

رايس تحدث عن الهضبة المركزية في بعض الاحيان في اعماله ، وامام الهضبة الجبلية شعرت ديللي وكأنها شاهدتها من قبل ، مع انها لم تزرها سابقاً على الاطلاق . انها تعرف هذه البلاد بفضل قصائد رايس مورغان حيث انها تعرف امه .

واحست ديللي بأن خيال رايس يراقبها ، ويبتسم لها بصمت ، كما كان يفعل احياناً ، بوجهه الجميل الذي تغطي جزءاً منه خصلة شعر سوداء طويلة .

رايس مورغان الذي كان عليها ان تدّعي بانها خطيبته . لماذا قبلت ان تلعب هذا الدور ؟ عمها كان عائلتها الوحيدة ، ولم تنجذب ديللي الى خوض المغامرات التي لا مستقبل لها والتي ترضي ابناء جيلها من الشباب ، وفي النتيجة تزوجت عملها لأنها كانت تعشقه . ومن ناحية اخرى ، لترد الجميل لعمها الذي تولى رعايتها بعد موت اهلها وهي طفلة صغيرة .

رايس مورغان احد الكتاب الرئيسيين في السلسلة التي تديرها ديللي والتي سحرت باعماله ومؤلفاته اما بالنسبة اليه فقد كان سعيداً لأنه يستطيع

الاعتماد على احكامها . وظلت علاقتهما افلاطونية، بعد عدة محاولات غزلية من دون اقتناع كبير من طرف رايس .

وفي الحقيقة ، رايس لم يكن في حاجة على الاطلاق الى ان يغازل د يللي، ولا اللواتي يقعن تحت سحر جاذبيته بشكل مؤكد ، لأنه كان محاطاً دائماً بمجموعة من المعجبات اللواتي يتشوقن الى ان يحظين باعجابه . فشعره الغزلي جعله مشهوراً جداً ، وعرف عنه بأنه محب لا يقارن ، وانه هو نفسه ثمرة حب ام فرنسية واب انكليزي .

عم ديللي اتته فكرة ان يعلن خطوبة ابنة اخيه الى رايس مورغان ، لكي يحميه من نفسه ، ولكي يحارب سمعته كغاوٍ للنساء، وحضور ديللي مجموعة من المحاضرات التي نظمت عبر الولايات المتحدة الاميركية لرايس جنبه بعض هذه الشائعات . ديللي كانت مترددة تجاه فكرة عمها ، لكن رايس وجد ان هذه المسرحية تتناسب مع مزاجه لأنها سمحت له بأن يبعد النساء اللواتي يضايقنه من دون ان تمنعه من الاهتمام باللواتي يكترث لهن .

كل شيء سار كما كان متوقعاً . صحبة ديللي احبطت معظم المعجبات برايس لكن الاشياء بدأت تسوء باقترابها من نهاية اللعبة التي انتهت بمأساة.

بالنسبة لديللي ، موت الشاعر مورغان وضع نهاية

لدورها كخطيبة . اخفت هذه الحقيقة حتى عن امه، التي كتبت الى ولفريد ايفريد لكي تدعو ابنة اخيه الى الاقامة في قصرها في الهضبة المركزية ، لتطلع على مجموعة القصائد وبعض الوثائق غير المنشورة كان قد ارسلها رايس خلال السنة الى قصر امه التي لم تكن راضية بدورها عن ارسال هذه المواد الى انكلترا ، وانها ستسعد بالتعرف الى خطيبة ابنها .

«ارفض رفضاً قاطعاً .»

هذا ما صرحت به لعمها قبل اسبوعين .

«الا تقيم وزناً لما ستفكر بي أمه ؟يبدو انك نسيت انني من اهداها مجموعته الشعرية الاخيرة والتي كتبها بجرأة لم يكتب بها من قبل . »

«نحن جميعاً نعرف انك لم تكوني ملهمته ، ولكنه وجد فيك تجديداً بعد كل النساء الأخريات ، ولقد ساعدته كثيراً ليضع الكتاب بالشكل المطلوب ، ولهذا السبب اهداك اياه .»

«لكن والدته تجهل هذا ، وهي تتصور اسباباً اخرى، وانا متأكدة من انها تنظر الي كمستهترة . »

«اوجيني دوبريان آخر شخص يمكن ان يصدم بمثل هذا . ان مغامراتها مع والد رايس مورغان كانت سبباً في تغيير يوميات ذلك العصر ! لقد كانت الحدث الاكثر شهرة على مدى عقد ، برغم ان تلك الفترة شهدت كثيراً من الاحداث المهمة الاخرى . تصوري

الاثر : الممثلة الفرنسية الاكثر شهرة تهجر زوجها وابنها الفتي مهنتها من اجل علاقة حب مع مؤلف درامي لا يملك قرشاً ، بالاضافة الى ان اصله ينتمي الى منطقة الغال . لا بالتأكيد ، انها لن تفكر في أنك فتاة طائشة . »

«وباقي العائلة ؟ »

« انها تعيش وحدها في القصر ، ولم تخرج منه منذ سنوات . اقبلي يا ديللي وسيكون ذلك عملاً طيباً منك لأنها وحيدة وستسعد بالتعرف الى الفتاة التي احبها ابنها . »

«الفتاة التي تتصور بأنها كانت حبيبة ابنها . »

صححت ديللي كلام عمها ، وانتهت بأن تقبل المهمة.

«الآنسة ايفريت ؟ »

هذا السؤال اخرج ديللي من تأملها ، والتفتت مبتسمة، على اعتبار ان هذا هو سائق مضيفتها . رجل طويل القامة ، نظر اليها بخشونة ، متفحصاً اياها بعينين سوداوين حادتين بلون صخور البازلت .

سألته:

«هل انت في خدمة السيدة دوبريان .»

لم يجب ، بل اكتفى بالنظر الى ثيابها الانيقة بعين ناقدة ، الثياب التي اعتبرتها مشرفة للقاء اوجيني دوبريان . ثم تمعن في حقيبتي السفر الكبيرتين ، مما

يعني انها تفكر في اقامة طويلة في القصر لكي تدقق في وثائق رايس .

هذا الاستقبال البارد اقلق ذلك الشاب الذي ارسل لاستقبالها . هناك شيء في وجهه يشبه الجبال المنتصبة خلفه ، شيء من البدائية ، من الخشونة كان مظهره كأرض مليئة بالحصى ، عقد ناتئة ، خدود غائرة ، شعر طويل يتراقص في الهواء . رجل يبدو في الخامسة والثلاثين من العمر ، اي يكبرها بعشر سنوات ، وبما انه لم يجب على سؤالها فلا شك انه لا يعرف الانكليزية .

كررت السؤال بالفرنسية :«هل انت في خدمة السيدة دوبريان ؟ »

«تعالي معي .»

اخذ الحقيبة الاكبر حجماً وسار على امتداد الرصيف من دون ان يبدي اهتماماً.

تمتمت وهي تتبعه بصعوبة :

«لو كان يعمل لدي لطردته .» من المؤكد انه من الصعب التعاقد مع سائق يلائم هذا المكان النائي البعيد في منطقة الأفيرن من الهضبة المركزية ، ولكن لماذا تتساهل السيدة دوبريان مع مثل هذه التصرفات اللامبالية ؟

كان يرتدي سروالاً لا شكل له وسترة جلدية شبه بالية وبشكله هذا يبدو انه شخص مؤهل ليقوم بعدة

اعمال ! واملت ديللي بأن لا ينطبق سلوكه هذا على كل خدم القصر، لانه اذا كان هو المثال فستقضي بضعة اسابيع متعبة .

كان يمشي بخطوات كبيرة مما اضطر ديللي ان تركض لكي تلحق به . تزحلقت ولوت رجلها ، التفت اليها اثناء توقفه امام معرض سيارات الرينو ولم يبد استعداداً لمساعدتها . تقدمت بهدوء وحاولت ان تظهر سخطها وان لا تعرج ، منزعجة من كونها لم تنتعل حذاء اسهل للمشي .

وعندما وصلت الى السيارة ، كان قد وضع الحقائب في الصندوق ، ولا يزال يمسك بالباب منتظراً ان تأخذ مكانها في المقعد الامامي.

هذا ما كانت ستفعله بشكل اعتيادي مكتفية بهز كتفيها امام هذه الوقاحة ، ولكن موقفه اخرجها عن طورها .

«سأجلس في الخلف .»

هذا ما قالته ، ناسية انه لا يفهم الانكليزية .

لم يجب ، وكان يمكنها ان تكرر ما قالته بالفرنسية ، ولكنها كانت منفعلة جداً فالقت بحقيبتها على المقعد الامامي وفتحت بعصبية الباب الخلفي وصعدت .

اغلق السائق الباب الامامي من دون ان يتحمل عناء اغلاق الباب الخلفي ، وجلس الى مقود السيارة واحست ديللي بالاهانة فاغلقت الباب الخلفي بكل

www.elromancia.com

قواها ، ووضعت حقيبة يدها على المقعد بعد ان ازاحت غطاء قديماً، ثم جلست في الزاوية المعاكسة للسائق . ظل الرجل ثابتاً في مكانه ، يداه متشنجتان على المقود وكأنه يبذل مجهوداً كبيراً لاظهار هدوئه .
هل سببت له احراجاً بتكلمها بالانكليزية ؟ هل يعتقد انها ستعتذر له ؟ واذا كان الامر كذلك فلينتظر.
طال الانتظار ، واصبح الموقف مخزياً . وحاولت ديللي ان تستعيد في ذاكرتها تعبيراً بالفرنسية لتعطيه الأمر بالانطلاق ، ولكنها لم توفق .
« انا جاهزة .»
وبلا اية كلمة ادار المحرك وانطلق ، ولاحظت ديللي يديه الناعمتين اللتين لا علاقة لهما ببقية مظهره ولكي يكمل المناورة التفت اليها وحدجها بنظرة مريبة .
فكرت ديللي ان تشكوه الى السيدة دوبريان ثم تخلت عن الفكرة لأنها لا تود ان تفتتح اقامتها في القصر بشكل غير لائق ، وقررت ان تنتقم لنفسها بطريقة غير مؤذية ارضاء لذاتها .
«انت شخص فظ ، وقح ومبتذل . »
هذا ما قالته بالانكليزية وهي تلفظ كل مقطع بعناية وبنبرة ناعمة .
لقد كان رد فعلها طفولياً ، ولكنه خفف عنها بعض الشيء .

اجتازت العربة سان جوست ، وبدا السائق وكأنه يخرج مباشرة من العصور الوسطى كأحد اسيادها القساة ، او بالاحرى عليها ان تتخيله قروياً يحرس بضع عنزات او نائماً في خيمته مع الحيوانات .
تابعت العربة ، فالطريق يتسلق الجبل محاطاً بخشب السنديان من اليمين وبالمراعي المنحدرة حتى النهر من اليسار، وفجأة ترك الطريق المعبدة ليسلك طريقاً ضيقة تتعرج بين الصخور .
بعد قليل ، لمحت ديللي عن بعد كتلة معتمة لقصر معلق على طرف تلة، وكان الفضول اقوى من مشاعرها فتوجهت الى السائق مختارة كلماتها بعناية بحيث لا تترك له مجالاً في النهاية ليسخر من فرنسيتها .
«هل هذا هو القصر الذي في الاعلى ؟ »
«يبدو انه لا يفوتك شيء .»
اجابها بالانكليزية وبلهجة ساخرة . علت الحمرة وجهها ، انه اذاً متمكن من الانكليزية .
« انا آسفة لانني نعتك بالوقاحة ، ولكن لماذا لم تقل لي انك تتكلم الانكليزية ؟ »
«ولماذا اقول لك ؟»
« يبدو لي ان هذا امر طبيعي ! او على الاقل كنت اعفيتني من الاحساس بانني كنت مضحكة . »
اجابها ببرود :

«انت تتدبرين امورك بشكل جيد ولا حاجة لمساعدتي.»

«من انت تماماً ؟ لا اعتقد انك السائق ، والا لما سمحت لنفسك بان تكلمني بهذه الطريقة . »

لم يجب ، وبعد لحظة صمت ، عادت الى الحديث :

«هل تعمل في القصر ام لا ؟ »

«في بعض الاحيان .»

«ماذا تفعل ؟ »

«هل هذا يهمك ؟ »

هذا الصد اذهل ديللي ، كيف يجرؤ هذا الرجل ان يبدي قلة ادب الى هذا الحد ؟ لم ترتكب خطأ حين وصفته بالوقاحة ، ومع ذلك قدمت له اعتذارها .

ديللي لم تكن طيلة حياتها تلك المرأة التي تتحمل اية اهانة من دون ان تردها ، وارغمت نفسها على ان تحافظ على هدوئها ، ولكنها عاودت الهجوم .

«بالتأكيد ، هذا يهمني ، لانني سأقيم بعض الوقت في القصر ، وبالتالي سأصادف كل الاشخاص ، هل فهمت ، حتى ولو كنت لا تعمل بشكل دائم فيه ، انا لا اهتم بشكل خاص بنشاطاتك ، ولكني متمسكة بأن اتجنبك في اي حال من الاحوال . وهذا ما لا احبه، ولا احب ان اشكو سلوكك هذا الى السيدة دوبريان . »

«وكذلك انا ايضاً .»

احست ديللي بأنها ستختنق من الانفعال لدى

سماعها هذه الجملة الحمقاء، كما لاحظت مجدداً ان الرجل كان متوتراً ، فعقد اصابعه كانت بيضاء من جراء ضغطها على مقود السيارة ، وبدا لها انه هو ايضاً يبذل مجهوداً كبيراً لكي لا ينفجر من الانفعال.

لماذا يكرهها الى هذا الحد ؟ من هذا الشخص المتعجرف ؟ انها متأكدة الآن من انه ليس السائق ، هل يشغل منصباً كهذا ، ويوحي مظهره بأنه يقضي معظم وقته في الهواء الطلق . اذاً ماذا يمكن ان يكون مكانه في القصر ؟ وقررت ديللي ان تثير غضبه .

«هل انت دائماً على هذه الدرجة من الوقاحة ؟ لا اعتقد انك تجرؤ ان تسلك هذا السلوك مع سيدتك ، فالسيدة دوبريان لن تتساهل بهذا الامر ، وبصراحة فإن سلوكك هذا غير مقبول وغير مفهوم .»

«يا آنسة ، بما انك لست سيدتي والامل ضعيف في ان تصبحي ذلك ، فكل ما يمكن ان تفكري فيه لا يهمني على الاطلاق . »

هذا الجواب ذو المعنيين جعلها تحمر غضباً، وعضت على شفتها لتمنع نفسها من الاجابة .

لا تزال ديللي ممتلئة سخطاً ، ولكنها تجاهلت الوقاحة ، وركزت انتباهها على القصر . لقد اصبح واضحاً امامها الآن ، انه قصر معلق على الصخور وكأنه خرج منها ، مبني من نوع من الاحجار

الغامقة كمعظم القصور في هذا القسم من الهضبة المركزية ، قاتم ومتين ، محصن بأربعة ابراج مثلثة السطوح .

واخيراً ، عندما وصلا الى القصر ، كانت ديللي قد استعادت هدوءها تقريباً . فمشطت شعرها ، ووضعت قليلاً من احمر الشفاه ، ولمسة لون على خديها وبضع قطرات من العطر ، وها هي الآن جاهزة لمقابلة السيدة دوبريان .

في الباحة توقفت العربة قريباً من السلم الكبير ، تمتم السائق ثم خرج ولف حول السيارة ، وتخيلت انه سيفتح لها الباب ، ولكنه فتح الصندوق وسحب الحقيبة ووضع متاعها امام باب المسكن وهي لا تزال جالسة في مكانها . واسفت لكونها قبلت مهمة حساسة كهذه من دون ان تستدرك الصعوبات التي ستواجهها .

فتحت بوابة القصر وخرجت منها سيدة بدينة ترتدي السواد مع رداء ابيض، وبابتسامة عريضة هبطت الدرجات ومدت لها ذراعها .

«الآنسة ايفريت ، اهلاً وسهلاً بك ، انا ارنستين المسؤولة عن قصر السيدة دوبريان ، ان سيدتي تترصد صوت السيارة ، لقد تأخرت . يبدو انك انتظرت طويلاً في المحطة ؟ »

«انتظرت قليلاً ولكن لا اهمية لذلك فانا سعيدة

بوصولي ومسرورة جداً بالتعرف اليك يا ارنستين .»

«من المؤكد انك متعبة بعد هذا السفر الطويل ، غرفتك جاهزة ، واعتقد انك تريدين ان تغتسلي ؟ وبالتالي سأصحبك الى السيدة . »

استقبلتها المسؤولة بحفاوة اعادت اليها هدوءها ، وكان الرجل قد اختفى مع امتعتها ، وان كانت تفضل ان تنقلها بنفسها بدلاً من ان تقابل هذا الشخص الفظ في غرفتها .

كان المدخل واسعاً ، يسبح في النور على عكس ما اعتقدت ديللي من انه سيكون معتماً . فأمام السلم الحجري الكبير هناك نافذة واسعة مفتوحة في الجدار من دون ان تزل عنه طابع العصور الوسطى. جمال المكان قطع انفاسها ، ولم تستطع ان تكتم حماستها .

« يا لها من عظمة وبهاء.»

ابتسمت ارنستين وانبرت تتلو تاريخ القصر بكبرياء المالكين، وبعد ان اجتازتا الصالة وصعدتا درجات السلم توقفت ديللي لتستعيد انفاسها ، ولمحت من النافذة جزءاً من الباحة والحديقة ، شجرات الورد ما زالت محمية من الجليد بمساحة من القصب . وادهشتها الجدران التي تحيط بالباحة ، هناك ايضاً مجموعة كبيرة من الازهار كانت متفتحة ، والسكن اجريت عليه تعديلات اساسية ، لكن المهندسين

www.elromancia.com

المعماريين كانوا قد اخذوا بعين الاعتبار المحافظة على الشكل الخارجي بطابعه الوسيطي .

«ارى ان السيدة دوبريان أجرت تحسينات عديدة ، وبذوق كبير. يبدو انها تحب ان تحيط نفسها بالاشياء الجميلة.»

نظرت ارنستين اليها نظرة استجوابية وقالت :

« هل حدثك السيد رايس كثيراً عن أمه ؟ »

«نعم يا ارنستين بالتأكيد ! »

ولم تشأ ديللي ان تعترف بالحقيقة فهو لم يحدثها قط عن امه .

«هذا صحيح فالسيدة كانت دائماً تحب الجمال . »

ثم تنهدت واضافت :

«ولا تزال . »

تابعت المسؤولة صعودها قبل ان تتمكن ديللي من سؤالها عن معنى هذه الملاحظة . ثم سارت في ممر طويل مزين بالسجاد القديم يصور مشاهد الصيد ، وفي نهايته فتحت باباً لتدخل ديللي .

«ها انت في منزلك .»

«نعم . الغرفة رائعة ، يبدو انها مريحة جداً . »

فارقتها الابتسامة عندما شاهدت امتعتها بجانب الخزانة ، اذاً لقد جاء الى هنا ويعرف ان هذه هي غرفتها ، ومن جديد عاودها السؤال :

من يكون هذا الرجل بالتحديد ؟

وفكرت ان تسأل ارنستين ، لكن شيئاً منعها . ستنتهي بأن تعرف ذلك ، ان طرح السؤال على ارنستين سيكون مضايقة لها ، وستتساءل لماذا لم يذهب السائق الى المحطة ، وهذا يمكن ان يثير فضولها وقد يعرضها لطرح اسئلة مثيلة ليست على استعداد لان تجيب عليها . كيف ستشرح لارنستين التنافر المتبادل وهي نفسها لا تعرف الاسباب ؟

تنازلت ديللي عن اندفاعها ، وطلب مفتاح الغرفة من ارنستين.

«ها هو يا آنستي . »

قالتها وهي تسحب مفتاح الغرفة من مجموعة تحملها حول رقبتها كعقد طويل .

«ولكن ليس من الضروري الاغلاق بالمفتاح ، فانت في أمان تام هنا . على كل حال ، اذا كنت مصرة على ذلك ... سأمر لاصحبك الى السيدة . هل تكفيك نصف ساعة لتحضري نفسك ؟ لانه بعد ذلك سيحين موعد تناول العشاء . »

«شكراً يا ارنستين ، هذا مناسب لي تماماً . »

ادارت ديللي المفتاح في القفل بعد ذهاب ارنستين ، وفوجئت بأنها تغني وهي تبدل ملابسها ونسيت الم رجلها . وجربت خطوات راقصة وهي ترمي ثيابها في كل الاتجاهات مع انها منظمة الى درجة لا متناهية . موقع القصر رائع ، والغرفة

www.elromancia.com

مريحة ، وهي شغوفة بالعمل الذي ينتظرها .
كانت درجة حرارة المياه جيدة ، وكل ما في الحمام يتمتع برائحة عطرة لطيفة . وتمددت في المغطس لتمحو آثار تعب السفر . وعندما تذكرت ارنستين اسرعت في الخروج من الحمام.
اي فستان ستختار ؟ لفت حولها منشفة صفراء ، وبدأت تفتش في حقيبتها . وقرع الباب .
لقد جاءت ارنستين ، ادارت قفل الباب وفتحته على مصراعيه . انه ... هو، صوب نظراته الى عينيها ثم ادارها في ارجاء الغرفة ، واخيراً عاد ليتفحصها من رأسها الى اخمص قدميها بتأنٍ آسر مما جعلها تحمر وتتضايق من كونها غير قادرة على ان تكتم انفعالها .
«انت ! ماذا تفعل هنا ؟»
امسكت منشفة الحمام بيد مرتجفة محاولة ان تستعيد احترامها.
«لقد نسيت الحقيبة في العربة . ولن تتخيلي بأن هناك شيئاً آخر يمكن ان يجذبني الى غرفتك.»
ثبت نظره عليها بطريقة وقحة وظلت ديللي غير قادرة على الكلام ولكنها لم تحوّل نظرها رافضة ان تظهر له مقدار الاهانة ، وشعرت بأنها قصيرة جداً بالنسبة الى قامته المنتصبة امامها. بدا لها مختلفاً، انه الآن اكثر طولاً واكثر تمدناً ، واعتبرت ان هذا

التحول كان بسبب الملابس التي يرتديها. قميص بيج من الحرير ، ربطة عنق بلون ازرق معقودة بشكل رائع ، وبدلة من المخمل الكحلي الغامق ذات تفصيل جميل جداً . وتحت هذا الغلاف المطمئن ، احست بالطبيعة الحقيقية لمحدثها بدائية بركانية وخطرة ... ولا تزال تجهل من هو .
«شكراً ، ضعها هنا .»
قالتها بلهجة آمرة وهي تشير باستخفاف الى مكان قرب الباب.ولم تشأ ان تأخذ منه الحقيبة خوفاً من ان تسقط عنها منشفة الحمام . رفع حاجبيه ليظهر تعابيره المندهشة والساخرة .
«لا تحاولي ان تجعليني أصدق بأن سقوط المنشفة سيضايقك . فانا لا انتظر منك هذا الاحتشام المفتعل.»
في هذه اللحظة ، فهمت ديللي انه قرأ قصائد رايس والاهداء . لكن هذا لا يفسر كل هذه العدوانية نحوها. على كل حال ، ان اخلاقياتي لا تهمه ، ولن احني رأسي لأفصح عن براءتي وهو الآخر لا يملك قلب طفل بريء .
«انا لا اسمح لاحد بأن يحاكم حشمتي ، حقيقية كانت ام مفتعلة .»
«في هذه الحالة كان عليك الا تفتحي الباب لأي كان.»

www.elromancia.com

«كن اكيداً ، لو انني عرفت الذي خلف الباب لما فتحت ، لكنني ظننت انها ارنستين ، والآن ضع الحقيبة وانسحب فوراً . ارجوك.»

ولكي يجيب تقدم اكثر داخل الغرفة ووضع الحقيبة على السجادة ولم يتعجل الرحيل . بل على العكس تفحص الغرفة بعناية وبتباطؤ مقصود ، تاركاً نظره ينسحب على السرير باصرار مهين .

واخيراً عاد بنظره وبكل تمهل الى ديللي .

«تأكدت الآن ان لديك احساساً مسبقاً بأنك هنا في منزلك . »

«هذا طبيعي جداً ، لقد دعيت الى هنا واعتقد انني سأمضي عدة اسابيع . »

«قد تغيرين رأيك ، فالحياة هنا تجري بإيقاع بطيء. ولا يوجد في القصر ما يرضي فتاة مثلك . »

«كيف تعرف اي نوع من الاشخاص اكون ؟ اتيت الى هنا للعمل وليس للمتعة ، والآن ارجوك ، اتركني وحدي ...»

«كما تريدين .»

هز كتفيه واتجه نحو الباب وقبل ان يغادر القى عليها نظرة اخيرة ، نظرة احتقار .

«نحن هنا ... نرتدي ثيابنا من اجل العشاء .»

اعلن ذلك بصوت ساخر ثم اغلق الباب وابتعد بهدوء.

جلست ديللي على حافة السرير مرهقة من ضغط

اللحظات الاخيرة . انه يرتدي هذه الملابس للعشاء اذاً . اي سيكون الى طاولة السيدة دوبريان .

توجهت الى حقيبتها وهي لا تزال ترتجف وسحبت منها الفستان المخملي الاخضر الغامق الذي لم يتحمل عناء السفر كما حصل لديللي .

اشترت ادوات التجميل هذه قبل ان تغادر لندن .

وفي لحظة انفعال جنونية لبست قميصاً ضيقاً باكمام طويلة تنتهي بدانتيل وتنورة واسعة . مشطت شعرها لتزيل عنه آثار البلل وتركته يتساقط بحرية على كتفيها . وعندما فكرت في المرآة التي اشتهرت بجمالها الأخاذ ، وضعت بعض مواد التجميل على وجهها وعينيها بعناية لتتلاءم مع ملابسها ، وبينما كانت تخطط شفتيها بالاحمر وتفكر في ذلك الرجل الذي يدعو الى القلق ، قرعت ارنستين الباب . شع وجه ارنستين بابتسامة مازحة عندما رأت ديللي جاهزة للعشاء .

هتفت وهي تصفق بيديها :

«يا لجمال الآنسة . السيد راوول سيسقط من الصدمة.»

السيد راوول . هذا اذاً اسمه ، ولكن من هو ؟

www.elromancia.com

الفصل الثاني

الصالون الواسع اثار اعجاب ديللي كثيراً. لاحظت بعض القطع المرصعة الرائعة ، ودارت نصف دورة حول المدفأة الاثرية . الارائك والمقاعد توحي براحة حقيقية ، اللون الاحمر الغامق يسيطر على السجاد الشرقي القديم المفروش على الأرض الخشبية اللامعة، وعلى الجدار الخاص بالمدفأة وضعت اضاءة داخلية ، وبالتأكيد فان الحجارة اللامعة التي كان لها بياض الكلس ، ساهمت في اضفاء جو مشبع بالتهوئة على هذا الصالون . كما علق عدد من اللوحات على بقية الجدران ، ظنت ديللي انها تعرف واحدة لجولجان ، ورجل الجمارك لروسو واخرى لموديلياني ، وتملكتها الرغبة في تفحص كل قطعة اثاث عن قرب ، كل لوحة وكل كتاب، ولكن ارنستين قطعت عليها تأملها .

«السيدة دوبريان تنتظرك ، التحقي بها قرب المدفأة يا آنسة . »

خرجت ارنستين بعد ان اغلقت الباب بهدوء تاركة ديللي وحدها مع السيدة دوبريان . تقدمت ديللي بخجل ، بخطوات مترددة نحو المدفأة ، وتوقفت في منتصف المسافة . لم يكن هناك احد .

«تقدمي الي يا عزيزتي . »

قفزت ديللي خائفة ، اذا السيدة العجوز كانت هنا ، لا شك انها مسترخية على اريكة كبيرة بحيث لا ترى الا من أعلى المسند .

«تعالي دليلة ، لا تكوني خجولة ، وسترين انني لست مفترسة . »

كان الصوت عميقاً دافئاً ، ونادراً ما سمعت احداً يناديها باسمها الحقيقي دليلة ، ولم تسمعه بهذا الجمال من قبل . تقدمت بخطوات كتمتها السجادة السميكة ، وتوقفت امام اوجيني دوبريان . كما تخيلتها كانت جالسة مقابل المدفأة ، غارقة في الاريكة التي جعلتها تظهر اكثر رقة واحساساً مما هي عليه في الحقيقة .

ترددت ديللي ، كان الصوت ودوداً ولكن قد يكون هذا ضرباً من خيالها لان السيدة دوبريان بقيت تماماً بلا حراك ، ولم تنهض لاستقبالها ، ولم تلتفت حتى بوجهها نحو ضيفتها . رأسها كان ثقيلاً منحنياً الى الامام ، ويداها الشفافتان البارزتا العروق موضوعتان على الركبتين .

احست ديللي بصدمة كبيرة ، الآن فهمت ان السيدة كانت عمياء.

ولو لم تكن خطوبتها مع رايس مزيفة ومختلقة من قبل عمها لكانت عرفت وفهمت تماماً انها لم

تعرف الا القليل عن رايس ولا شيء عن اسرته .

«هل انت دليلة .»

اسرعت ديللي نحو السيدة ، معقودة اللسان ، غير قادرة على قول كلمة واحدة . وبعد لحظة تماسكت واجابت بنبرة مترددة :

«نعم يا سيدتي ، انا ديللي . »

رفعت السيدة يدها ومدتها باتجاهها وكأنها تريد ان تزيح الستارة التي تمنعها من رؤية ديللي .

«انا سعيدة جداً ، ولا يمكنك ان تعرفي مقدار السعادة التي تهبينني اياها . »

اتجهت بعينيها المطفأتين نحو ديللي التي لم تتصور انها قد ترى في حياتها جمالاً كهذا ، اوجيني دوبريان الآن امرأة عجوز ولا بد انها انجبت ابنها رايس في سن متقدمة .

شعر شديد البياض كالثلج ، وجه مخطط ببعض التجاعيد ، بشرة بلون الرماد مشدودة على هيكل شديد الدقة . الجسم بكامله في انسجام لا يقارن ، وجنتان عاليتان ، ذقن مستقيمة ، انف مرسوم بشكل حسن ، واذنان ناعمتان تعطيان وجهها نوعاً من الارستقراطية . الفم لا يزال شاباً بشكل غريب نسبة الى امرأة بهذه السن مما ذكر ديللي بفم آخر ، من دون ان تستطيع تحديده .

«كانت رغبتي قوية في لقائك يا دليلة . (قالتها

بابتسامة كشفت عن اسنان براقة جميلة.) اهلاً وسهلاً بك في مونبيردو.»

«شرفني ان اتلقى دعوتك يا سيدتي ، وآمل ان احظى باستقبالك لي مدة شهر او اثنين . »

«بالتأكيد ، ولكني آمل بأن تبقي اكثر ... وان كان هذا الطلب سابقاً لاوانه .»

وشاح من الحزن غطى معالم السيدة ، وهذا ما اقلق ديللي . وشعرت بالخجل من الدور الذي جاءت تمثله، ولكي تخفي خجلها ارغمت نفسها ان تتابع الحوار :

«يجب قبل كل شيء ان احدد كمية الوثائق التي سأعمل عليها . »

عادت الابتسامة الى وجه السيدة وقالت :

«جبال من الاوراق ، طيلة هذه السنوات التي كان فيها رايس هنا وهناك امّا في الفنادق او عند الاصدقاء ، ولكن ليس في بيته على الاطلاق . كان يرسل الينا الوثائق لكي نحفظها له ، كان يلزمه حقيبتان ، واحدة للملابس واخرى للمخطوطات، يا للمسكين لقد عاش حياة المتشردين.»

تنهدت السيدة بعمق .

قاطعتها ديللي :«انا حزينة ...»

«لا تقولي اكثر من ذلك . انه حزن مشترك ، ولكن بلا شك انت تتألمين اكثر مني . لقد مر وقت طويل لم يأت فيه الى هنا .»

«كان يتحدث دائماً عن اوفيرن وعن رغبته في زيارتك . »

«لقد سعدنا جداً عندما عرفنا بخطوبتكما ، وفكرنا بانه لربما ...»

وتوقفت السيدة عن الحديث فقد انعقد لسانها من الانفعال .

ثم قالت:

«انا متفائلة من سير الامور . »

ديللي تكذب بلهجة تأمل بأن تكون مقنعة .

« والآن يجب ان نعرف كل شيء عنك . »

تنهدت السيدة واستندت الى الخلف وتابعت :

«رايس لم يقل لنا أي شيء اطلاقاً ، انه نادراً ما كان يكتب الينا.»

«كان دائماً يريد ان يكتب اليك شخصياً (هذه كذبة اخرى) لكن الوثائق التي يرسلها كانت بلا شك بالنسبة اليه وسيلة للتواصل معك . »

«نادراً ما تحدث الي عن نفسه . وتنهدت بعمق اكثر «والصحف لم تكن دائماً ... مداحة ، لكنها على الاقل اوضحت لنا شيئاً عن حياته وكتبه . »

ابتسامة غامضة اضاءت وجه السيدة وكأن صورة شيء جميل اخترقت هذا الحاجز من عماها وبالحساسية الخاصة بالعميان ، شعرت بالتوتر الذي اصاب ديللي وأرادت ان تعيد اليها الطمأنينة .

«هيا يا عزيزتي لا تشعري بالانزعاج معي ، نحن نعرف الحياة .»

« لكنني لست .»

وعضت ديللي شفتيها ، ولماذا تقول للسيدة بأن رايس استلهم عشرات النساء المتبدلات مع كل مدينة ومع كل فصل ومع كل مزاج ؟ نساء اثرن فيه الواحدة تلو الأخرى ، حتى الاخيرة التي كانت من ماساشوسيتس . فهذا لا يمكن الا ان يزيد جرحها الما. وهي تألمت بما فيه الكفاية . رفعت رأسها وقالت بصوت واضح :«اؤكد لك انني لست متضايقة.»

بدأت السيدة تداعب بحركة لا شعورية العقد الذي يحيط عنقها وكأنها غرقت في احلامها .

«انا ايضاً كنت شابة واتذكر ذلك . »

خيم صمت محير ، وحاولت ديللي ان تجد الكلمات الملائمة للموقف .

«كان رايس يملك موهبة كبيرة .»

«نحن عائلة فن ، والده كان من بلاد الغال، والغاليّون يجري الشعر في دمهم، واجدادي كانوا أهل أدب . هذه وراثة وانا فخورة بها . »

رايس كان ايضاً فخوراً بهذا.»

هذا ما عبرت عنه ديللي بصدق .

«والآن حدثيني عنك ، اروي كل شيء بالتفصيل ، اود ان اعرف شيئاً عنك . »

romancelandia.com

«ليس هناك الكثير . »

توقفت ديللي عن الكلام ، وفرحت عندما فتح الباب، ولكن فرحتها لم تدم طويلاً . الرجل الذي دعته ارنستين راوول كان يراقب المشهد وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، وبعد لحظة ، اقترب من الموقد .

راوول . ديللي كانت قد قرأت في مكان ما ان هذا الاسم مأخوذ من كلمة ثعلب . وهذا مطابق له تماماً لأنه يمتلك شيئاً من صفات حيوان جائع قاس .

ولكن من هو هذا الرجل ؟ ستعرف ذلك حالاً لانه انحنى امام السيدة باحترام وقال لها بلطف :

«امي ، يجب الا تتركي الآنسة ايفريت تتعبك . »

ابنها ، شقيق رايس ، لكن رايس لم يكن له اخ . ثم تذكرت ان اوجيني دوبريان كانت قد تخلت عن ابن عندما هجرت زوجها الاول لتلتحق بوالد رايس .

«لكنها لا تتعبني ، راوول ، انسيت طريقة السلوك الحسن مع الآخرين ؟ ولا يجب ان تنادي خطيبة اخيك بالآنسة ايفريت ، الم تتعارفا اثناء عودتكما من المحطة ؟ اود ان تناديها دليلة.»

استقام راوول بقامته الطويلة وقطب عينيه .

«اذاً دليلة. »

«راوول، كف عن مداعباتك ، وقم جهز لنا كوباً من الشراب ، ومن الافضل ان نناديها نحن ايضاً بديللي. عزيزتي هل تأخذين انت ايضاً كوباً من الشراب ؟»

«بكل سرور ، شكراً سيدتي . »

ارادت ديللي ان تصفع هذا الوقح ، ولكن لحسن حظه كانت السيدة دوبريان موجودة . بدأت تحرك السائل الذي في الكوب محاولة استعادة هدوئها . وعندما رفعت رأسها التقت نظراتها بنظرات راوول الذي كان لا يخفي احتقاره، وكأن السيدة دوبريان احست بالجو المتوتر، فتدخلت بصوت لطيف :

«لدينا الكثير مما نود معرفته ، اليس كذلك يا راوول؟ ديللي حدثينا عنك . »

اجابت وهي تزداد حيرة :

«ليس هناك الكثير مما يقال.»

«نحن نعرف انك تعملين في دار النشر مع عمك، وتعملين بشكل ما في تسيير اعمال أهل الأدب كما فهمت من رايس، وهكذا تقابلتما، ولكننا نجهل كل شيء عنك.»

تمتم راوول:

«وفي الوقت نفسه نحن نعرف اشياء كثيرة.»

لكنها تجاهلته وكأنها لم تسمعه.

«اعيش مع عمتي وعمي اللذين احتضناني بعد وفاة اهلي.»

«كم عمرك؟ فأنا لا استطيع ان اتكهن بهذه الأشياء.»

«اربع وعشرون سنة.»

«عظيم ، فالحياة ما زالت امامك . يجب ان تقصي

علي كل شي، من تشبهين ، كيف تمشين ، ماذا تلبسين...»

قرع الباب من جديد .

«العشاء جاهز سيدتي . »

نهضت السيدة بحذر ومدت يدها باتجاه راوول الذي امسكها والتفت الى ديللي .

«نحن عادة لا نتعشى في الصالة الكبيرة لانها واسعة جداً بالنسبة الينا ، فعندما نكون شخصين او ثلاثة نستعمل غرفة صغيرة ولكنها انيقة.»

قالت ديللي وهي تنهض بدورها :

«سأموت من الجوع . »

«هذا من حسن حظك ، لان وجبتنا الرئيسية هي وجبة العشاء. وقد اكتسبت هذه العادة من البلاد الاخرى.»

اجتازت السيدة دوبريان الصالة مستندة الى يد ابنها بخطوات صغيرة .

«ارجو الا تلوميني لانني كنت السبب في ان لا يمد لك راوول ذراعه لانك انت المدعوة . ولكن للأسف للضرورة أحكام . »

اكدت ديللي بابتسامة : «لقد اصبحت فتاة شابة.»

«حتى الفتيات الشابات بحاجة احياناً للاعتماد على ذراع قوية.في زماني ...»

وتركت الجملة معلقة . كانوا قد وصلوا الى الغرفة

الصغيرة . كيف يمكن ان تكون صالة الطعام الكبيرة؟

تساءلت ديللي ، فعلى الجدران عدة لوحات وسجاد متعدد الالوان من الطراز المعاصر . وهنا ايضاً ارادت ان تتفحص كل قطعة على حدة . الطاولة مصنوعة من خشب المنطقة والكراسي التي تحيطها مصنوعة بشكل رائع بالاضافة الى كونها مريحة جداً .

دخلت الخادمة حاملة طبق الحساء الشهي ، وعرفت ديللي ان الخادمة من سان جوست وتدعى هيلويس وقد تدربت على يد ارنستين . استمرت المحادثة طيلة فترة العشاء التي تعاقبت فيها انواع الطعام . سمك باللوز ، فخذ خاروف بالجبن المفروم والصلصة ، سلطة العدس الاخضر ، عدة انواع من اجبان المنطقة، وكان هذا اكتشافاً بالنسبة الى ديللي التي لا تعرف منها الا نوعاً واحداً ، توت بري بالكريما .

ظل راوول صامتاً ، يبدو انه قرر الا يتعرف بديللي وهذا يناسبها ، على عكس السيدة دوبريان التي لم تتوقف عن الثرثرة ومن المؤكد انها كانت سعيدة بوجود شخص جديد . اما ديللي فقد اثنت على انواع الطعام الطيبة ، وفي الوقت نفسه كانت مسرورة باصغائها الى الطرائف التي تمتلك منها مضيفتها مجموعة لا تنتهي . وتجنبت بحذر شديد ان تنظر الى الطرف الآخر من الطاولة خوفاً من ان تقع عيناها على النظرة العابسة الوقحة التي تعودت ان تخافها.

« عزيزتي ، تتركينني اتحدث عنا ، عن القصر ، عن الفن ، لكني احب ان اسمعك انت .»

ثم مدت السيدة اصابعها لتحدد موضع فنجان قهوتها . «انها تتدبر امورها لوحدها بروعة متناهية حتى اننا ننسى انها عمياء .»

قالت السيدة بصوت حازم :

«والآن لنتحدث عنك . ويجب ان تسامحي فضول سيدة عجوز مثلي . »

ووجدت ديللي صعوبة كبيرة في ان تمهلها قليلاً .

تساءلت ديللي بضحكة فيها شيء من الخوف ، آملة ان لا تأخذ الاسئلة طابعاً ذاتياً اكثر من اللازم :

«ماذا تودين ان تعرفي ؟»

«ابدئي بوصف نفسك .»

ردت:«ارتدي فستاناً اخضر . طويلة القامة ، شعري احمر.»

صرخت السيدة بنفاد صبر.

«هذا ليس كافياً . كانت لدي في باريس خادمة تتطابق مع هذا الوصف . انك تقليدية اكثر من اللازم. ولن تصبحي كاتبة جيدة على الاطلاق ، اليس كذلك يا راوول ؟ »

اضافت :

«انني نحيلة الى حد ما .»

«لكن صوتك ليس رفيعاً ، وليس كصوت الخادمة .

اود ان اعرف اكثر ، ولكني الاحظ انك لا ترغبين في مساعدتي . »

ثم التفتت الى نهاية الطاولة حيث يجلس راوول .

«راوول ، انا مضطرة ان التجيء اليك ، ستكون انت عيني، صفها لي . انا متأكدة من انك تستطيع ذلك اذا بذلت شيئاً من المجهود . »

قالت هذه الملاحظة بنبرة موضوعية . لكن كل تعابيرها كانت تترجم مقداراً من الاستهجان .

«راوول ما هو لون شعرها ؟ »

«الشعر ، لنقل اشقر غامق ، لوحة اصلية لتيتيان، ومن المؤكد ان هذا لونه الطبيعي ، يبلغ طوله الى الكتفين.»

كانت ديللي هادئة وحاولت الا تبدي ارتباكها .

«البشرة ناعمة جداً ، تكاد تكون شفافة ، تذكّر بالشامواه . »

صعد الدم الى وجهها واحست بانها لا يمكن ان تكره اي شخص كما كرهته ، اما السيدة فقد ارتسمت على وجهها ابتسامة رضى وقالت :

«حتى الآن ، الوصف ملائم لصوتها . »

«العيون رمادية ، شاحبة بعض الشيء ، كان يجب ان تكون على غير هذا اللون للتتلاءم مع لون الشعر. اما اتساعها فيضفي عليها مظهراً مضللاً ، شبه بتولي . »

www.elromancia.com

«مضللاً »! شدت على قبضتيها وشحب لونها .

«الانف عادي .»

وهنا ارادت ان تخنقه .

«والفم يا راوول كيف هو ؟ »

«كبير ، ولو كنت سأرسمه ، لبدأت بمسح حمرة الشفاه عنه ، لأن هذا الاحمر يعطيه شيئاً من ...»

قاطعته ديللي ، غير قادرة على كبح ثورتها:«الابتذال.»

«انت التي قلتها ولست انا . »

كان صوته ساخراً بوضوح ، وكأن اضطرابها كان سبباً في انتعاشه .

« راوول ، يا لك من غبي ، النساء بحاجة لهذا التكلف بعض الشيء ، تابع الوصف ... الذقن من فضلك ، بدأت اراها ...»

«الذقن ؟ انها الآن تميل الى الامام لانها في حالة سخط ، ولكنها بشكل اجمالي على جانب من الاهمية، الهيكل العام دقيق وأنيق والرقبة طويلة ، الاسنان صغيرة ومرصوفة بشكل جيد . »

«تابع يا راوول صف لي الباقي ، كل الباقي . »

« الباقي لا حاجة للتوقف عنده. »

رجتها ديللي بيأس :« ارجوك يا سيدة دوبريان.»

«سامحيني يا عزيزتي ، نتوقف هنا اذا كنت مصرة على ذلك . »

قالت ذلك بصوت ناعم لكن خيبة الأمل اظهرت تجاعيد وجهها اكثر . ترددت ديللي لحظة قبل ان تعود لترضي والدة رايس .

« لا ، لنتابع . لدي انطباع بأنني فراشة معلقة على الحائط . »

«لكن فراشة جميلة حسبما اسمع .»

ولاحظت ان السيدة استعادت مرحها.

«ومن بعد اذنك ، راوول سيتابع .»

«قامتها طويلة ، طويلة جداً حسب ذوقي . »

بالفعل انها لخسارة ، قالت لنفسها وهي تدير وجهها نحوه . والآن فهمت انه حتى هذه اللحظة كان يتحاشى نظرتها تماماً .

« انها أنحف من ان تكون واحدة من شخصيات لوحات تيتيان ، دون ان نتحدث عن روبنس ، وتعابير وجهها تجعلك بالاحرى تفكرين بلوحات مودلياني ، ويمكن ان تحل محلها ، لكنها ربما اكثر ، كيف اقول ... مغرية ، متحدية . »

اجبرت ديللي نفسها ان تبتسم ، انه هو الذي يظهر نفسه مغرياً ومتحدياً . ولكنها قررت الا تبدي رد فعل ، مع انها تساءلت لماذا يكرهها راوول الى هذا الحد ؟

لننتقل الآن الى يديها ، الاظافر تدل على صحة جيدة ومطلية بشكل خفيف . الاصابع نحيفة طويلة ، لكنها

ليست رشيقة بما فيه الكفاية بالنسبة لطبيعة فنية، وليست مستديرة كما يجب بالنسبة لعقل عملي، تكشف انفعالاتها. لقد تعلمت ان تتحكم في حركات ذقنها وفمها ولكن ليس بحركات يديها.» وكانت ديللي تلعب بعصبية بقطعة خبز، فتوقفت حالاً.

فتابع:« الفستان، اختارته بمهارة، مخمل، مخمل اخضر ولطيف جداً، شكل الأكمام من العصور الوسطى مع اطراف من الدانتيل. انها لبارعة لمسة البراءة هذه ...»

ابتسم وقال: «فتحة الصدر كبيرة وعميقة مفصلة على شكل مربع وهي اقل براءة من الاكمام، العنق شديد البياض لا يحمل عقداً، والتنورة واسعة فيها كثير من الانوثة مع حذاء بكعب عال.»

ابتسمت السيدة العجوز برضى.

« القميص ضيق جداً على الصدر.»

علت الحمرة وجه ديللي، وومضت عيناها غضباً.

« يجب ان نضيف بأنها تتوتر بسرعة، يا له من طبع عصبي.»

لفظ هذه الجملة الاخيرة بصوت خفيف ولكنه يوحي بأنه كان يغلي غضباً وبحركة مخيفة اطفأ سيكارته في المنفضة.

صرخت السيدة وهي تصفق :« رائع. فتاة جميلة تماماً كما يتمناها قلبي.»

«ليست جميلة تماماً.»

بهذه الملحوظة قاطعها ابنها بلهجة صارمة.

« راوول، ارجوك.»

قاطعته السيدة العجوز دون ان تخفي انفعالاتها، ثم التفتت الى ديللي. «ارجو ان تسامحي راوول يا عزيزتي، فان له احياناً بعض السلوك الخشن، لكن بالنسبة الي فأنت كنَتي.»

التفتت ديللي الى راوول ورمته بنظرة قاتلة :

«شكراً يا سيدتي، وهذا ما يشرفني.»

«اترى يا راوول كم هي عاقلة. ديللي انك من العائلة تجاهلي ابني، يسره ان يظهر بمظهر الوقح، ولكنه من المؤكد انسان مستقيم وشريف ولا يمكن ان يكذب لقد احببت الوصف الذي رسمه لي عنك وارجو منك ان تناديني اوجيني.»

وبشكل واضح كانت السيدة مسرورة جداً.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

شعاع من الشمس ايقظ ديللي ، فاستدارت واخفت رأسها في الوسادة ، ولكنها لم تستطع النوم . فغادرت السرير الناعم متأسفة ، وارتدت روب من المخمل الاحمر ، ثم اقتربت من النافذة . لقد امطرت في الليل وعادت الى الجو شفافيته ، النهار سيكون جميلاً ، مثالياً لاكتشاف الضواحي.

وما كان النهار يطلع حتى تساءلت ديللي اذا كان استيقظ أحد في القصر . الجواب اتاها من الباحة ، حيث شاهدت رجلاً يمر بثياب العمل . احدى ذراعيه ملفوفة بقطعة قماش ، وتحت الاخرى حمل ادوات متنوعة للحديقة . وباليد السليمة بدأ يزيح القش والقصب الذي كان يحمي شجيرات الورد ، مما يبشر بقدوم الصيف .

نشفت ديللي نفسها بعدما اغتسلت بسرعة ثم فتحت الخزانة التي كانت قد رتبت فيها ثيابها مساء البارحة قبل ان تنام ، وأخرجت منها تنورة خضراء من المخمل المضلع وكنزة سميكة من الصوف الاصفر . ارتدت ملابسها وتفحصت نفسها في المرآة الكبيرة الموجودة جانب الخزانة . فالطريقة التي انتقد بها راوول شكلها اثارتها مجدداً واعجبتها

الصورة المنعكسة الآن في المرآة . وبحركة حازمة اعادت الكنزة السميكة في الخزانة وأخرجت اخرى رقيقة جداً ولبستها . ستريه اذا كان شكلها على غير ما يرام ، ولكنها في الحقيقة عندما نظرت الى نفسها مجدداً في المرآة شعرت بنوع من الخجل ، لأن تفاصيل جسمها كانت مكشوفة جداً .

وفي الصالة التقت بارنستين واقترحت عليها ، لكي لا تغير عادات القصر ، ان تتناول افطارها فيما بعد بصحبة السيدة دوبريان .

« بشكل عام السيدة لا تنزل الا في وقت متأخر، يمكنك ان تتناولي طعامك الآن . كما يفعل السيء راوول احياناً . »

« هل استطيع ان اتناول طعامي في المطبخ ؟ لأنني اود ان اراه.»

سألت ارنستين بدهشة :

«المطبخ ؟ بالتأكيد ، سأصحبك اليه يا آنستي ولكنك ستتناولين طعامك في الغرفة الصغيرة المخصصة لذلك . »

المطبخ كان واسعاً يحتوي على مجموعة من الادوات المطبخية النحاسية البراقة المعلقة على الجدار على شكل خطوط جميلة ، وفي آخره مدفأة كبيرة جداً تتسع لشواء بقرة كاملة . وفي الوسط طاولة اثرية والى اليسار فرن مع مجموعة الادوات المطبخية

الحديثة ، والى اليمين مجموعة من الخزائن والابواب تقود الى القبو.

كانت هناك سيدة بدينة مشغولة بتقطيع الخضار، ترتدي فستاناً قديماً اسود اللون مع مريلة بيضاء خرجت لتوها من تحت المكواة ، التفتت نحو ديللي بوجه عابس .

«اقدم لك ماري آنج يا آنسة ، انها متحيزة جداً لطبخها . »

وجهت اليها ديللي ابتسامة .

« يمكنك ان تطمئني يا ماري آنج فأنا سيئة من هذه الناحية ، ولكني اتذوق الطبخ الجيد ولم احضر الى هنا الا لاهنئك . » اشرق وجه ماري آنج العابس بعد ان خرجت ديللي وارنستين .

«حتى انا شخصياً ، لا اجرؤ ان اتدخل في تحضير وجبات الطعام ، فهذه الحقوق محفوظة لها فقط . »

سألت ديللي وهي تتناول طعامها :

«من هو هذا الرجل الذي شاهدته في الحديقة؟»

«انه غاسبار ، السائق والبستاني الذي كان على السيد راوول ان يحدثك عنه . لقد وقع في اللحظة التي كان عليه فيها ان يأتي الى المحطة لاستقبالك . ولحسن الحظ لم تكن النتائج خطيرة ، ولكن توجب على السيد راوول ان يقود الرينو القديمة التي لا يحب قيادتها ، لان امتعتك لا تتسع في سيارته الخاصة . »

وبعد ان انهت طعام الافطار عادت الى المهمة التي اتت من اجلها.

«السيد رايس ارسل الى القصر في هذه السنة مجموعة من الوثائق والمخطوطات . هل انت على علم بذلك؟»

اجابت ارنستين بإشارة من رأسها والقت على ديللي نظرة حادة.

انها هي الاخرى قرأت كتاب رايس الاخير . قالت لنفسها، هذا مؤكد ، فهي التي تقرأ بصوت مسموع للسيدة دوبريان .

«اود ان اطلع عليها ، هل يمكنك ان تقولي لي اين هي موجودة ؟ »

« لا يا آنسة ، انا آسفة لا يمكن ، فالمفتاح لدى السيد راوول . »

«واين يمكنني ان اجد السيد راوول ؟»

« لا اعرف متى يعود ، لقد ذهب باكراً هذا الصباح بسيارته .»

احست ديللي بالسخط مجدداً ، راوول يعرف تماماً انها اتت الى هنا لتتفحص اوراق رايس ، كان بامكانه على الاقل ان يترك المفتاح تحت تصرفها...

الطقس جميل ، ولماذا انتظر شخصاً قد لا يعود الا في المساء ؟ ولماذا لا انسى قليلاً العمل واستغل هذا اليوم للتنزه ؟ صعدت الى غرفتها ، انتعلت حذاء سهلاً للمشي ونزلت الى الباحة . الشمس كانت اكثر

www.elromancia.com

حرارة من البارحة وكذلك الكتلة المظلمة للقصر بدت اكثر بهجة . شعرت ديللي بأنها استعادت مرحها ونسيت الم رجلها . الطريق المليئة بالحصى ما زالت رطبة ومليئة بأعشاش الدجاج ، وعلى جانب المنحدر ما زالت تجري السواقي الصغيرة ، وفي الجو زقزقة العصافير وتغريد الطيور المستمر . لقد فجروا الصخرة ليفتحوا طريقاً ضيقة ترابية عند المنعطف محاطة بجدران من الكلس حيث نمت بعض النباتات والاعشاب . ولكن هذه الطريق سيئة بعد ان حفرتها السيارات ولا تصلح للمشي الا في الوسط ، وفكرت ديللي ان تستغل النفق لتسير فيه لان الشمس لا يمكن ان تدخل اليه .

وفجأة اخترق الصمت ضجيج محرك سيارة تتقدم مسرعة . لم تعد ديللي تتذكر اذا كانت الطريق طويلة ام لا ، وقررت ان تعود مسرعة علها ، اذا حالفها الحظ، تستطيع ان تصل الى آخر الممر الخطر قبل وصول السيارة .

وبينما هي تسير مسرعة لم تنتبه الى وجود حجر كبير فوقعت ولوت رجلها من جديد ، وسمعت تبديل سرعة السيارة مرتين متتاليتين خلفها وعلى مقربة منها مع صوت ازير المحرك . الشيء الوحيد الذي كان يمكن ان تفعله هو انها تسلقت قاعدة جدار صخري . وتمسكت بحزمة من الاعشاب ، محاولة ان

ترتفع قدر الامكان عن الطريق لتفسح مكاناً لمرور السيارة التي مرت بأقصى سرعة ثم توقفت في حركة متعرجة مع فرملة صاخبة . وفي هذه اللحظة الحرجة تزحلقت وسقطت على الارض ساحبة معها التراب والحصي . خفق قلبها وبصعوبة استعادت انفاسها . القت نظرة على السيارة التي كادت ان تقتلها ، متوقعة ان ترى الرينو ، ولكنها رأت سيارة سبور ، وقبل ان ينزل السائق عرفت انه سيكون راوول . هرع اليها بوجه يقطر غضباً .

« مجنونة! كنت ستقتلين نفسك . »

وقف امامها ولكنه لم يبد اي حركة لمساعدتها .

صرخت : «انت الذي تقود كالمجنون . »

وحاولت ان تنفض الحصى التي انزلقت تحت ثيابها الممزقة ، وتابعت بالنبرة ذاتها :

« مجنون ! اين يمكنني ، حسب رأيك ، ان احتمي عندما تظهر كالصاروخ ؟ »

« كان عليك ان تتعلمي كيف تستخدمين عينيك .»

وباشارة من يده دلها على صدع في الجدار الصخري على الطرف الآخر من الطريق يختفي وراء حزمة من النباتات .

«هنا يوجد نفق جانبي يعرف الانسان النبيه ان يحتمي به لدى سماعه صوت اقتراب سيارة . »

نهضت ديللي وهي ما تزال تضطرب من فكرة ما

كان سيحدث لها ، وتفحصت نفسها . تمزقت تنورتها المليئة بالوحل ، اما معطفها الوحيد الذي احضرته معها من انكلترا فكان سليماً ، وفردة حذائها كانت قد سقطت من رجلها اثناء تعلقها بالجدار وراحت ضحية تحت عجلات السيارة . اخذتها ووضعتها امامه .

« هل تجد ان هذا كل ما يقال ؟ كان يمكن ان اكون انا مكان الحذاء ...»

« على كل حال الخسارة ليست فادحة ، وانا سعيد بأن هذا اقصى ما حصل لان هذا الحادث كان سيسبب لي ازعاجات كثيرة . تعالي ، سأوصلك الى القصر . يبدو لي ، انك تسرّين بلوي رجلك...»

وهكذا شهد سقوطها للمرة الثانية ، بعد ان رأى سقوطها البارحة ليلاً . تقدم واخذها من ذراعها ، ابتعدت كالملسوعة ومشت نحو السيارة وهي تعرج

« انه لمن الصعب ان نبدو محترمين بفردة حذاء واحدة . » هذا ما قالته في نفسها .

قهقه راوول ضاحكاً ، وعاودها احساس البارحة بانها اهل لارتكاب جريمة . انه المسؤول وهو يسخر من حالتها ، ابداً لا يمكن ان تكره شخصاً هكذا . تركها وجلس بهدوء خلف مقود السيارة دون ان يهتم بها ، وانتظر ان تلحق به وتفتح باب السيارة لنفسها . وقبل ان تجلس ادار المحرك ، ولم تكد تغلق

الباب حتى انطلق بكل قوته وطارت السيارة مما جعل ديللي ترتمي على المقعد .

«انت تلعب لعبة الرجل المتسلط الواثق من نفسه ، هل تعتقد انك دائماً على حق ؟»

«هذا صحيح جداً ، انا اوافقك لأول مرة. »

اجابها وهو يتجاوز بمنتهى النظام منعطفاً صعباً .

صرّت ديللي على اسنانها لانها تعرف ان عليها ان تصمت الآن ، وتفحصت السيارة :

سيارة سبور ماركة بورش فيها عدة سرعات ومجهزة بمقاعد عميقة لتسند الجسم ، وكانت مناسبة جداً لطريقته في القيادة. وفي باحة القصر كان غاسبار يصلح سيارة الرينو القديمة بيده السليمة ، والغطاء مرفوع الى الاعلى .

توقف راوول وخرج من السيارة دون ان يضيف أي كلمة ، ثم انحنى الى داخل السيارة وأخذ حزمة كهربائية كانت موجودة وراء مقعده وابتعد . فقدت ديللي صوابها من الغضب ، الا يعرف كلمة اعتذار، يا له من شخص وقح . غادرت بدورها البورش واقتربت من الرجلين وهي تمسك فردة الحذاء .

نهض غاسبار ورفع قبعته احتراماً لها ، قبعة قديمة من الجلد تغطي اذنيه . ابتسمت له ، بادلها الابتسامة والتفت نحو معلمه وكأنه يسأله ماذا عليه ان يفعل متابعاً تجاهله الكامل لوجود ديللي .

«يمكنك على الاقل ان تعرفنا ببعض . »

«غاسبار هذه دليلة . »

نهض غاسبار مجدداً ورفع قبعته وثناها بعصبية بين يديه ولم يعد يعرف كيف يخفي حيرته .

« الآنسة ايفريت . »

هذا ما انتهى غاسبار الى قوله .

ابتسمت له بمودة قبل ان تتوجه الى راوول .

«انا بحاجة لان ارى الوثائق. »

كانت لهجتها حازمة ، ولكن راوول تابع انشغاله بتصليح السيارة .

«عفواً ؟»

قالها بعد فترة طويلة .

اخرج رأسه من تحت غطاء السيارة ورمقها بنظرة ساخرة .

« منذ قليل لم اشعر انك بحاجة اليها بهذه السرعة . كانت لديك رغبة بنزهة صباحية . »

«بما انني عدت من نزهتي بفضلك ، فأرجو ان احصل عليها . »

استقام في وقفته وهز كتفيه .

« غاسبار ، حاول ان تتابع العمل بدوني ، سأعود بعد لحظات . »

عندما وصلا الى الصالة اسرعت ارنستين وأخذت المعطف من يدها .

سألتها:«هل سررت يا آنستي بالجولة ؟ عليك ان تبدلي ثيابك . »

ارنستين على حق ، ندمت ديللي لانها الحت بالحصول على المفتاح . كان من الافضل ان تغتسل وتبدل ثيابها لتعدل شكلها ، ولكن راوول كان ينتظر امام باب المكتب بنفاد صبر .

خلعت الفردة الثانية من حذائها والتحقت به حافية القدمين .

أدخلها واغلق الباب وجلس خلف مكتب كبير من خشب السنديان . الجدران مغطاة بالكتب ، وعلى السجادة وتحت السلم كومة من المؤلفات . وفي زاوية من الغرفة كنبة جلدية امام طاولة منخفضة حديثة بلون اخضر رمادي .

ظلت ديللي واقفة بينما كان راوول يبحث في جارور المكتب . وفي النهاية سحب مغلفاً صغيراً واخرج منه مفتاحين ، وضع واحداً في جيبه ، واقترب منها وبيده الثاني .

مدت يدها ، لكنه قذف بالمفتاح في الهواء ثم التقطه بمهارة .

« الاتعتقدين انه من الافضل ان يكون شكلك اكثر ترتيباً ؟»

خجلت ديللي من هذه الملاحظة بالمقدار الذي كانت خجلة فيه من حساسيتها الخاصة .

«سأفعل ذلك عندما اريد ... اعطني المفتاح . »

«هل يمكنك ان تلفظي جملة لو سمحت ؟ »

ثم ابتسم ووضع المفتاح في جيبه .

«لنبدأ بإصدار الاوامر . اولاً انت بحاجة الى حمام ، ثم الى تبديل ثيابك ، فأنت لست جميلة ابداً على هذا الحال . »

« كما وصفت عيوبي البارحة .»

كانت ديللي تشتعل غضباً ولكنها تبذل ما في وسعها لكي لا تفجر هذا الغضب بشكل واضح .

« البارحة ، ارتكبت اخطاء ...يبدو لي . »

كانت عينا راوول مركزتين على تقاطيعها التي ابرزتها البلوزة الرقيقة .

تلاحقت انفاس ديللي . بماذا فكرت هذا الصباح اثناء ارتداء ملابسي ؟ قالت ذلك في سرها وارتعشت من جراء هذه النظرات كما لو انه يمد يده ليلمسها. لم يجرؤ شخص ابداً ان يتفحصها بهذه الطريقة الوقحة. وفجأة شعرت بمرارة وقررت الا تقاوم .

« لو تترك لي المفتاح الآن لن ازعجك بعد ذلك . »

امرها بلهجة قاسية :« عودي بعد نصف ساعة . سأكون انتهيت من العمل مع غاسبار وسأصحبك بنفسي الى الصالة حيث وثائق رايس . »

وبعد عشرين دقيقة كانت ديللي قد اخذت حماماً وبدلت ملابسها . ارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً

ذا مربعات صغيرة حمراء وبيضاء باكمام طويلة وانتعلت حذاء رياضياً ولمت شعرها المبلل وعقدته على شكل ذيل حصان . ولم تعد تمتلك شيئاً من كمال المرأة ، وكما توقعت لم يكن راوول في مكتبه بل ما زال منحنياً على محرك السيارة مع غاسبار . ولكنه كان قد بدل ثيابه هو الآخر. ارتدى سروالاً من المخمل المضلع باللون الازرق الفاتح وقميصاً رقيقاً بلون ازرق غامق مما ساعده على ابراز عرض كتفيه. وعندما تقدمت نهض ومسح يديه بقطعة قماش ثم تفحصها ويداه على خصره :

«هكذا افضل ، يجب ان اقرّ بذلك . »

قالت بعصبية :«يمكنني ان اقول عنك الشيء نفسه.»

« ولكن بعض النساء بحاجة الى بعض التحسينات اكثر من غيرهن . »

كانت لهجته لاذعة كعينيه ، وفكرت ديللي بأنها لن تصل الى شيء اذا ما حاولت ان تكون مثله وتجابهه واحدة بواحدة . تابع تحديقه بنظرة باردة ساخرة .

« هذا العدو مشكوك بأمره . » هذا ما فكرت به ديللي.

« ولكن لا بد ان لديه نقطة ضعف » وهكذا قررت ان تغير اسلوب التعامل معه .

الفصل الرابع

كل الوثائق التي ارسلها رايس خلال السنوات الماضية كانت متراكمة ومجمعة في غرفة من غرف احد الابراج ، هذا القسم من القصر الذي حافظ على طابع القرون الوسطى ولم تجر عليه أية تحسينات .
الغرفة كانت بسيطة تحتوي على بعض الكراسي الخشبية ، طاولة كبيرة عليها لمبة واكداس من الكرتون ومغلفات كبيرة .
ارتعدت ديللي عندما فكرت بالساعات الطوال التي عليها ان تقضيها في هذا المكان المظلم .
دخل راوول وأنار الضوء الذي لا يضيء الا جزء من المكتب ، حيث وضعت بعض المغلفات المغبرة التي تحمل طوابع عشرات البلدان . جلس على زاوية الطاولة وكتف يديه على صدره وتفحص المكان .
«يلزمك المزيد من الاضاءة . »
«نعم لمبة اخرى ستكون مفيدة . »
اجابت ديللي وهي تقترب ورسمت ابتسامة على شفتيها ، واضافت :« لو سمحت . »
« ستحصلين على ذلك.»
« هل لديك آلة كاتبة يمكنني استخدامها ؟»
« سنحصل على واحدة . »

كانت ديللي مأخوذة بحركة ساق راوول التي كانت تمر بالتعاقب بين الظل والنور ، وهو يهزها على طرف الطاولة .
يبدو انه لا يستعجل ذهابه ، وكالمعتاد كبحت ديللي ثورتها من هذا الوضع اللامبالي وقالت بسخرية:«هذا لطيف جداً من ناحيتك . »
ظل وجهه بدون انفعال وتابع يتأملها بعينين باردتين .
قال بلهجة باردة جداً :
« هل انت بحاجة الى شيء آخر ؟ »
«اوراق ، كثير من الاوراق ، اقلام ، ممحاة ، مصنفات، وما شابه هذه الاشياء وايضاً اذا سمحت ...»
«نعم ؟ »
«مفتاح الغرفة . »
اخرج المفتاح من جيبه ، مدت يدها لتأخذه ، لكنه امسكها .
«اذا سمحت .» ابتسم بسخرية
« افضلك ايضاً بشكل آخر . »
فقدت صوتها للحظة ثم ارتبكت من شدة الغضب ، كيف يمكن ان يطالها بهذه السهولة ؟
« ماذا تريد ان تقول ؟»
«عندما تنفعلين تتلاءمين مع نفسك . لكن كمخادعة...»

هز كتفيه والقى المفتاح باهمال على الطاولة .

«... انت بالتأكيد كارثة . »

فقدت ديللي صوابها ، وبدأت تضرب الارض برجلها من شدة الانفعال .

« اخرج ، اخرج حالاً قبل ...قبل ان ...»

واختنقت الكلمات في حلقها .

« هل ترين ... الطبع غلب التطبع .»

« آمرك ان تخرج .»

«سأخرج بعد ان انتهي من قول ما لدي ، وليس قبل ذلك . »

«لم يكن لدينا شيء لنقوله ، اتركني وحدي .»

«وحدك مع ذكرياتك ؟ »

واشار الى الكرتون المغبر المنضد عند طرف الحائط.

«ذكرياتي ... كما تسميها لا تعني سواي .»

اصبح صوته اكثر قساوة ، شبه مهدّد ، نهض واقترب منها .

« هناك اشياء لا تعرفينها . هل تفهمين يا آنسة ايفريت ؟»

«الى ماذا تريد ان تتوصل ؟ »

كان قد تقدم حتى كاد يلامسها .

« ما يتعلق بانتحار رايس . »

تلقت الجملة كالصاعقة ، خفق قلبها بشدة .

سألت وعلى اساريرها علامات الدهشة :

«انتحار ؟ »

«لا تتظاهري بالبراءة . »

«لا اعرف عن اي شيء تتحدث . »

شحب لونها ، وشعرت وكأن كابوساً يجثم على صدرها ، او انها تشارك في تمثيل مسرحية .

اخذ مغلفاً عن الطاولة ، تعرفت ديللي الى خط رايس وطوابع الولايات المتحدة الاميركية .

«رسالته الاخيرة .»

قال راوول هذه الجملة مشدداً على كل حرف ، وسحب من المغلف ورقة رسائل مطوية ، عليها في الاعلى طابع الفندق .

«عندما وصلت هذه الرسالة كان رايس قد مات ، ولا يفهم منها انك لا تعرفين . »

احست ديللي بجفاف في حلقها ، فكل هذا لا صحة له ونظرت الى راوول .

«ان هذا ينقصه البرهان . »

«اقرأي بنفسك . »

القى الرسالة على الطاولة ، وانتابتها الرغبة في الانقضاض عليها وتمزيقها ، لكنها تابعت التحديق به دون حراك .

« لا ؟ لا تريدين . اذا كنت تخافين من الحقيقة ، سأذكرك بها ، رايس كتب هذه الرسالة بلا ادنى شك قبل تلك ... تلك السهرة الاخيرة .

www.elromancia.com

لقد قص علينا كل شيء ...كل شيء هنا .»
ما الذي قصه عليهم رايس ؟ تساءلت ديللي وهي تستعيد ذكرى الايام الاخيرة . كم تعبت من اسلوب حياة رايس ، بحثت عنه في الحانات ، في الفنادق وفي كل الاماكن التي يمكن ان يرتادها ، كانت مفعمة بالقلق لانها تعرف ان عمها يعتمد عليها لمنع رايس من ارتكاب الحماقات .
قالت بصوت هادىء غير مصدق : «ماذا قال لك ؟»
استعاد راوول الرسالة وتفحصها سريعاً وقرأ مقطعاً.
«انها ستفقدني عقلي . »
« انا ؟ هل يذكر اسمي ؟»
«ليس من الضروري ، ولكن من الواضح انك المعنية فهو يحدد (خطيبتي) ، ويشرح كل التفاصيل الكريهة، ويحكي كيف تعذبينه . »
« اعذبه ؟ »
« من الواضح ، انك كنت غير وفية له . »
« ولكن ...»
بالتاكيد كان يعني تلك الطالبة ذات الشعر الاسود التي كان مفتوناً بها ، واحدة تدعى سالي .
صرخ قاطعاً عليها حبل افكارها :
« لا تنكري انك كنت معه في شيكاغو . »
«لا ، لكن ...»

«لا . »
وشعرت بالبرودة تنساب في عظامها ، ولكنه تابع بوحشية وبلا رحمة :
«وتعتبرين ان كل شيء كان واضحاً تماماً . وانت المذنبة . »
رمى بالرسالة على الطاولة باشمئزاز وتابع :
«وبعد ذلك ببضعة ايام ، قتل نفسه . »
«اسمعني يا راوول ، لا علاقة لي بكل ذلك ، فانا متألمة جداً لكل ما حدث لرايس ، لكن ...»
«متألمة! انت متألمة!؟ انا الذي اتألم من صفاقتك في الحضور الى هنا . انت التي احبّها ، ووضع ثقته بها وبالتالي دفعته الى تدمير نفسه . »
ازدردت ديللي ريقها بصعوبة ، وبذلت مجهوداً يفوق طاقتها لتمسك دموعها .
« هذا ما تظنه . »
« ما اظنه لا يقبل الشك . وما تفكر به والدتي شيء آخر . لانني لم اقل لها الحقيقة ، ولكن هناك اشياء لم استطع اخفاءها عنها . ارنستين تقرأ لها الصحف كل يوم . والصحف المحلية تنشر احياناً اخبار رايس. »
ضغط على طرف الطاولة بيديه وكأنه يريد ان يكسرها ونظر اليها .
«وخنته . »
« راوول، لست خائنة، عليك ان تصدقني ... العلاقة

التي ربطتنا كانت صورية.»

« في الحقيقة ، انها بالفعل لكذلك . »

« ليس هذا ما اريد قوله ، لقد توهمنا اننا بهذه الطريقة نستطيع ان نجنبه المشاكل . لقد كان يجتذب المشاكل . »

«الموت هو المشكلة الحاسمة ، ومع الأسف لم تجنبيه اياه . »

«انت لا تريد ان تفهم اليس كذلك ؟ انه شخص غير مستقر ، وبحاجة الى حماية من الآخرين ومن نفسه ايضاً . »

«من شخص آخر ؟ انا افضل الحماية من حية ...»

فقدت ديللي توازنها والتفتت نحوه بعينين تقدحان شرراً ، وشتمته بقسوة ، وبعد ان خففت عن نفسها قليلاً ، اضافت بهدوء:

«انت لا تعرف الحياة التي عاشها ، لم تكن معه ، ولاتجرؤ ان تحّملني مسؤولية موته . »

اقترب منها بوجه مليء بالكراهية .

«نعم احّملك مسؤولية موته . »

اوشكت ان تصرخ ، بأن هذا غلط ، ولكنها فهمت ان الاحتجاج لا يجدي ، فراوول لن يغير رأيه . ادارت وجهها بيأس واخفته بين يديها لكي لا تريه دموعها، لقد قلب عالمها في ساعات قليلة . ولكن بعد لحظة تجاوزت ضعفها ولكنها لم تقو على النظر اليه .

«اذهب . »

انحنى نحوها بهدوء ، سمعت انفاسه تتصاعد وارادت ان تهرب ولكنها كانت مشلولة من الخوف . ومن الخلف ، طوق عنقها الرقيق .

تمتم في اذنها : «انت قتلته . »

وازداد ضغط اصابعه تدريجياً حتى شعرت بصعوبة التقاط انفاسها ثم ادار رأسها نحوه .

«انت قتلته ، كما لو كنت تقودين السيارة بنفسك . »

« لا ، لم اكن ابداً ...»

اختنقت الكلمات في حلقها من شدة ضغط اصابعه وشعرت بحالة من الاغماء .

« اتوسل اليك . »

قال وهو يتنهد بعمق :

«آه، لا داعي لذلك . »

وعندما ترك عنقها ، ترنحت وكادت تسقط لولا انه امسكها من كتفيها ، فسقطت على صدره مرتجفة فاقدة كل قواها .

«انت قتلته .» كرر ذلك بلهجة قاسية .« ولن اسامحك على ذلك ابداً . »

تمتمت مرة اخرى :

«اتوسل اليك . »

تجاهل رجاءها واسندها الى الكتب .

«امنعك ان تتفوهي بأي كلمة تمكن والدتي من

معرفة حقيقة علاقتك برايس . »

«لا افهم ما تعني . »

قالتها وهي تنظر اليه بجمود كأنها منومة مغنطيسياً والدماء تسيل كالنار في عروقها . هل كان ذلك بسبب الخوف ام بسبب شيء آخر ؟

قال بغضب :

«لا تكذبي ، انت تفهمين تماماً ما اعني . لن اخبرك عن ردود افعالي اذا ما كشفت لوالدتي ان رايس وضع حداً لحياته بنفسه . انها امرأة عجوز وقد تحملت بما فيه الكفاية في حياتها . »

« لا يمكن ان ادعي ذلك لانه ليس حقيقياً ، لقد مات في حادث مأساوي . »

«العبي هذا الدور امام والدتي ، وليس امامي ، اعرف كيف عاملت رايس كما اعرف اي نوع من النساء انت . فكل البراهين هنا ، في رسالته الاخيرة وفي قصائده . »

اغمضت ديللي عينيها لتهرب من نظراته المتهمة . امسك بشعرها وادار وجهها اليه .

قال وهو يصر على اسنانه :

« افتحي عينيك . »

بقيت ديللي جامدة ، أما هو فقد ازداد عنفاً وصرخ:

« أمرتك ان تفتحي عينيك ، انظري الي . »

الالم جعلها تفتح عينيها وشعرت بأنفاسه الحارة .

« الآن اسمعيني جيداً ، لن تطلعي على وثائق رايس الا في هذه الغرفة ، لا شيء يخرج منها ... اكرر ، لا شيء اطلاقاً الا اذا تفحصته انا شخصياً . »

«لكن في رسالتها ، والدتك قالت ...»

قاطعها بقسوة :

«اعرف ما قالت . اذهبي الى الجحيم مع رسالتك . آمرك بالا يخرج شيء من هذه الغرفة يمكن ان يجرح امي ، لا شيء الا ما تقصه عليها ارنستين . »

« ولكنها مع ذلك تعرف ان رايس لم يكن ... لم يكن صالحاً . »

« كتابه الاخير لا يترك مجالاً لأي شك في ذلك. صحيح أن رايس لم يكن صالحاً وهي تعرف ذلك منذ سنوات وتسخر منه ولكنها تجهل ان موته كان انتحاراً . »

صرخت بصوت يرتجف من اليأس والعجز عن اقناعه:

« هذا خطأ . »

قال بازدراء :«صحيح . اذاً اقرأي هذه الرسالة . »

تركها فجأة وابتعد عنها ونظراته لا تفارقها . تمسكت بالطاولة لتضمن توازنها ، وشعرت بأنها لا تقوى على المقاومة اكثر من ذلك ، وفي كل لحظة يتزايد احساسها بأن نظرات معذبها تخترقها حتى الروح .

وفكرت :

لو تستطيع ان تقرأ ما في قلبي ، يا راوول ، ايها الظالم . لماذا لا ترى الحقيقة فيه ؟

لم يضف أي كلمة ، توجه نحو الباب وخرج دون ان يلتفت الى الوراء . وقعت ديللي على الارض وقد تلاشت طاقتها على الوقوف .

الفصل الخامس

فقدت ديللي احساسها بالزمن. ولم تعد تعرف اذا كان راوول قد خرج منذ ساعة ، او نصف ساعة او عشر دقائق ، فالحالة التي عاشتها جعلتها تعوم في ذهول أبله ، رأسها يضرب بشدة ، وشعور بالغثيان انتابها ، ولم تعرف اذا كان ذلك بسبب برودة الارض التي لا تزال جاثية عليها ام بسبب رائحة العفونة التي تزداد شيئاً فشيئاً .

ادركت فجأة انها جائعة ، وكأن كل الانفعالات تجمعت لديها في معدتها . لقد استعادت الطبيعة تفوقها هذا ما قالته لنفسها .

وبعد ان نهضت اصلحت ملابسها وجلست على احدى الكراسي ومن الغريب انها شعرت بعد هذا الكابوس، بأنها مختلفة فهي اكثر نضجاً واقوى معنوياً ، وان كانت لا تزال تتألم من رقبتها.

وفكرت بسلسلة الحوادث التي تعرضت لها منذ مجيئها ، وبهذا الوجه المتجهم الذي يعكس كراهية لا مثيل لها ، عندما اتهمها بمقتل اخيه من امه.

« اقرأي هذه الرسالة » هذه هي كلمات راوول الاخيرة.

بدا لها ان رايس ربما كتب هذه الرسالة بعد تلك

www.elromancia.com

المحاضرة التي تتذكرها جيداً ، والتي كانت فيها تلك الطالبة سالي حاضرة . سالي انسانة جذابة ، تعرف اليها رايس في احدى المناقشات الادبية وتوجه اليها بالغزل مستخدماً كل جاذبيته ، وبالتالي فقد تناول الثلاثة عشاءهم وطلب رايس من سالي الزواج بلهجة لا يمكن ان تؤخذ على محمل الجد . وتلقت سالي ذلك بخفة لأنها لا تملك التجربة الكافية لتعرف مدى جديته ، ولم تر في ذلك الا تمهيداً لمغامرة عابرة .

وفي يوم المحاضرة الشهيرة ، رايس كان قد سهر كثيراً مع سالي، وتخاصما ، ورغم ذلك فقد لاقت المحاضرة نجاحاً . رايس يعرف ان يكون مسلياً حتى وهو فاقد لرشده والجمهور كان ينتظر ان يراه على ما هو عليه ... ولكن طرأ ما لم يكن في الحسبان مما قلب كل شيء . فبعد ان بدأ رايس بالحديث نهضت سالي الجالسة في الصف الاول ، وخرجت بصحبة رجل آخر . وعندما رآها رايس اضاع خط النص ، وبدأ يلفظ جملاً مفككة . اخيراً كان عليه ان ينسحب من على المنصة . وكان على ديللي ان تتحمل عبء النتائج .

تألم من صداع لا يحتمل وتحدث عن الانتحار عدة ايام واختفت سالي لعدة ايام ثم التقاها في احد المقاهي . عادت العلاقة بينهما متوترة ، وبعد اسبوع

توفي . كان يقود سيارته كالمعتاد بسرعة جنونية، وقد اضاع رشده او انه غفا على المقود . فأحياناً كان ينام في ظروف غير متوقعة .

على كل حال ، ديللي لا تعتقد انه قتل نفسه برغبة منه.

الرسالة مكتوبة تحت تأثير الهذيان ، كانت مفككة، يشير فيها الى خطيبته من دون ان يسميها ، ويتحدث عن عدم وفائها ، كما يشرح تشاؤمه منها ومن الحياة . وليس من المستغرب ان يعتبرها راوول المسؤولة بعد ان قرأ الرسالة .

وضعت ديللي الرسالة وتنهدت بألم وأخذت المفتاح على ان تعود فيما بعد لتنظيف الغرفة . وستطلب من ارنستين ان تعطيها كرسياً مريحاً وسجادة لتدفىء المكان حيث ستقضي فيه الاسابيع القادمة . ومهما يكن فهي لا تستطيع ان تعمل بجدية الا مع الآلة الكاتبة . ولقد وعدها راوول بذلك .

اغلقت الباب وراءها وقفلته بالمفتاح.

«آه يا آنستي كنا نتساءل اذا كنت قد نسيت اهمية الطعام ، وجبتك تنتظرك . »

جلست ديللي وبدأت تلتهم طعامها.

«يبدو انك ما زالت متأثرة بالحادث ، فأنا اراك شاحبة . »

« لا لقد تحسنت يا ارنستين ، اشكرك . »

تفحصتها ارنستين بانتباه وبنظرة لا تخطىء.
«انك محظوظة كونك خرجت من الحادث ببعض الرضوض فقط.»
واشارت باصبعها الى عنق ديللي مما زاد في شحوبها واحساسها بالخزي.
«كان علي ان الح هذا الصباح لكي ترتاحي يا آنستي، لكن من الغريب انني لم الاحظ انك شاحبة الى هذا الحد. والسيد راوول لن يكون مسروراً اذا لم اهتم بك بشكل لائق.»
اجابتها:«السيد يعرف انني وقعت هذا الصباح ولم يبد أي قلق.»
«مع انه ركب سيارته مسرعاً من دون ان يقول كلمة ودون ان يتناول طعام الغداء. واعتقد انه ذهب لاحضار الطبيب.»
«كلا انا لست بحاجة لطبيب وهو يعرف ذلك، ولا حاجة للقلق.»
«على آنستي ان تعدني بأن ترتاح بعد تناول الغداء.»
«حسناً يا ارنستين، سأفعل ذلك. لاطمئنك.»
هذا الوعد افرح ارنستين كما اسعد ديللي لارغامها على الراحة.

***

عندما استيقظت ديللي كان النهار يقترب من نهايته، وبما انها لم تكن معتادة ان تنام اثناء النهار فقد

استيقظت بحالة كان يلزمها فيها بضع دقائق لكي تتذكر اين هي موجودة.
بقيت فترة في الحمام، فهذا النهار كان متعباً صحياً ونفسياً، ولكن للشباب قدرة على استعادة حيويتهم.
وحان موعد العشاء فاختارت ثوباً من الحرير الاسود البسيط.
كان الصالون ما يزال فارغاً. فأخذت كوباً من العصير، وبدأت تتفحص اللوحات المعلقة على الحائط. هذه يمكن ان تكون لبيكاسو في المرحلة الزرقاء. وتمنت لو تمتلك المزيد من المعلومات عن الفن، فالطريقة التي رتبت بها اللوحات كانت منظمة. المدارس مختلطة كالعصور ولكنها تعطي في مجملها انطباعاً بانسجام لا مثيل له. وقالت لنفسها ان راوول هو الوحيد الذي يستطيع ان يضعها على هذا الشكل.
توقفت مطولاً امام رسم رائع لوجه. انه بلا شك جدال لأوجيني دوبريان فتكوين الوجه نفسه، لكن الشعر اسود والعينين براقتين. فالفنان وضع الحيوية على اللوحة. ولكن الى اي تاريخ يعود هذا الرسم؟ حوالي خمسة عشر عاماً بدون شك وكانت ديللي شبه متأكدة من انها تعرف فرشاة هذا الرسام. انحنت لتتأكد لكن التوقيع كان غير مقروء.
«انها احدى لوحات سان جوست.»

www.elromancia.com

كان الصوت غاضباً وساخراً كالعادة مما جعلها ترتعد . كيف استطاع الاقتراب دون ان تسمعه؟ كان يتقدم وفي يده كوباً من العصير.

«اعتقد انك كنت السباقة في اخذ العصير هذه المرة.»

«لكني مازلت عطشى واريد كوباً آخر. »

لكن لهجتها لم تخف انفعالها الداخلي ، وعندما مدت يدها لتأخذ الكوب كانا يراقبان بعضهما بصمت ، والجو الثقيل ذكرها باللقاء الصباحي .

« اذاً كنت تحاولين استكشاف مجموعة اللوحات الفنية ؟ »

اجابت بحرارة :«نعم. هذه صورة والدتك ...»

«مرسومة قبل ان تفقد بصرها .»

« كانت ، ولا تزال ، امرأة جميلة جداً ، سمعت عن سان جوست .»

قالتها وهي تقترب من اللوحة . وتابعت:

«لقد رسمها بشكل رائع .»

اجابها بلهجة مداعبة :

« انها واحدة من احسن محاولاته.»

«حسب ما يقال عنه ، انه لا يرسم الا النساء اللواتي يعتبرهن فعلاً جميلات . »

«هذا صحيح .»

فكر حين نظر الى الصورة ، انهما متفقان هذه المرة.»

سألت وهي تقترب من المدفأة :

« وكيف فقدت بصرها ؟»

«حدث ذلك منذ احدى عشرة سنة ، عندما اصيبت بالتهاب كلوي حاد بالاضافة الى العوامل النفسية والآلام التي سببها لها رايس . »

يعني ان رايس كان في الثامنة عشرة من عمره عندما سبب لها كل هذه المشاكل .

وراوول ؟ كان يكبره بخمس او ست سنوات .

«هل كان رايس يسكن هنا في تلك الفترة ؟»

طرحت ديللي السؤال بصوت هادىء لانها تعرف انها تغامر في موضوع حساس ولانها كانت تجهل تأثير السيدة دوبريان على الحياة العائلية . نظر اليها راوول بدهشة .

«يبدو ان رايس لم يثق بك كثيراً ، اذا اعتبرنا ...»

وترك جملته المفاجئة معلقة .

«يمكنك عدم الرد اذا كنت تفضل ذلك .»

«نعم رايس كان يعيش هنا . »

قالها وهو يهز كتفيه. ثم اردف:

« القصر لعائلة امي منذ اجيال ، وعندما انفصلت امي عن ابي كنت في السادسة من عمري . »

فهمت ديللي ان راوول في السادسة والثلاثين من عمره .

«كان ابي رجلاً قاسياً ، ولم آسف ابداً لهذا الانفصال.

www.liilas-romancia.com

كان اثناء الحرب معجباً بالجنرال بيتان الذي تعاون مع الالمان ، ولم تسامحه زوجته ، ولكنه لم يوافق على الطلاق . وأخذتني والدتي الى انكلترا ووضعتني في مدرسة ممتازة . وهكذا ، فعلى عكس ما يقال ، انها لم تتخل عني . »

نهض راوول ومشى امام المدفأة .

«وبعد عدة سنوات عرفت علاقتها مع مورغان . قد تكون قصة الحب هذه الاكثر شهرة في تلك الفترة، لكنها بالنسبة الي، كانت بكل بساطة ... صديقها مورغان كان رجلاً دافئاً ، طيباً وحساساً وكان يحبها ، منحها الحب الذي رفض والدي ان يعطيها اياه . وهكذا فولادة رايس بدت لي امراً طبيعياً جداً.»

هام راوول في تفكيره وتابع كمن يحدث نفسه:

« بالطبع كنت غيوراً بعض الشيء ولكن وجود أخ صغير ، سمح لي باكتشاف عالم مجهول . وبعد موت مورغان عاشت امي معنا نحن الاثنين . كان رايس في الخامسة من عمره وكنت في الثانية عشرة وعشنا سوية سبع سنوات ، اي ان رايس كان حاضراً في كل ذكريات المراهقة ، كان غريباً ، وفوضوياً ، يفيض جاذبية . »

ابتسمت ديللي لهذا الوصف ، انه رايس كما عرفته تماماً .

«كان طفلاً مدللاً وولد احساساً بالذنب لدى امي

المسكينة ، كان رايس يعرف تماماً ماذا يريد . »

توجه راوول بنظرته العابسة الى ديللي التي فهمت انه عاد بتفكيره حوادث قريبة والى علاقتها مع رايس .

«... وبشكل عام كان يحصل على ما يريد . »

لفظ الكلمات الاخيرة وسمع صوت فتح الباب فالتفت ليستقبل والدته التي اوصلتها ارنستين الى الكنبة وخرجت .

وقف راوول وراء امه ووضع يده على كتفها .

« راوول ، ارنستين حكت لي عما حدث هذا الصباح، وان ديللي متأثرة من الحادث . »

حاول راوول ان يراقب نظرات ديللي وهي تقول:

« لم يكن شيئاً مهماً ، تزحلقت ولم اصب بأذى . »

اضاف راوول :

«ديللي بصحة جيدة .»

« كان عليك ان تستدعي الطبيب ، ديللي ضيفتنا وعلينا ان نعتني بها . »

«اؤكد لك انها شابة قوية .»

قالت الام:«ظننت ارنستين انك ذهبت بعد الظهر لاحضار الطبيب . ولكن على ما يبدو انك ذهبت الى السوق ، فهل لديك اشياء مستعجلة ؟ »

اجاب وهو يهز كتفيه :

« لا ، كنت بحاجة لبضعة اشياء صغيرة ضرورية . »

اجابت:«مع ان ارنستين اكدت لي انك حملت عدة علب كبيرة . »

قال ضاحكاً :

« ارنستين تبالغ احياناً .»

« انها عيناي وعيناي تخبرانني بكل شيء . لقد اخبرتني ان ديللي كانت شاحبة وانها متأثرة من الحادث . »

وضعت ديللي يدها على رقبتها لكي تتحاشى ذكر ما حصل في البرج . وتبعتها نظرات راوول .

«ربما كنت شاحبة بسبب الجوع ، ومن ناحية اخرى كنت متعبة قليلاً ، ولكني اشعر الآن بالتحسن بعد ان نمت طيلة بعد الظهر.»

« لن تعترفي بالحقيقة ، واعتقد انك من النوع الذي لا يشكو . عليك يا راوول ان تساعدني ، هل ما زالت شاحبة ؟ »

تفحصها راوول بنظرات تحمل الكثير من الالغاز مما حير ديللي، ثم ابتسم واجاب امه دون ان يكذب :

« كلا ، استطيع ان اطمئنك عنها . »

« حسناً ، لقد كنت عاقلة يا ديللي واسترحت قليلاً بدلاً من ان تعملي ، واذكرك بأنه ليس هناك ما يستعجلك . »

«ولكن عمي يريد ان يطبع كتاباً آخر لرايس بأقصى سرعة ممكنة ، وسأبدأ بالعمل جدياً صباح الغد . »

« يجب ان تعملي بهدوء وتستغلي اقامتك في استكشاف المنطقة.»

« هذا ما افكر فيه كذلك . »

« هل تحسنين قيادة السيارة ؟ »

اجابت بصراحة:« نعم . ولكني افتقر الى الحس بالاتجاهات الصحيحة. »

« استعملي الرينو عندما ترغبين ، واطلبي الخريطة من غاسبار ، ويستطيع راوول ان يخدمك كدليل . »

«شكراً لعطائك ... ولكني لا اريد ...»

« لا اعرف ... » قالها راوول في نفس الوقت.

« اسكتا انتما الاثنين ، ارنستين اخبرتني بأن حذاءك لم يعد صالحاً ولا يمكن ان تزوري المنطقة بدون حذاء آخر . فعليك يا راوول ان تصحبها الى بوي لتستعيض عن حذائها الاول . »

التفتت السيدة الى ديللي .

« بوي ليست بعيدة من هنا ، وراوول غالباً ما يذهب الى هناك . انها مدينة رائعة وعليك ان تتعرفي عليها. »

فتحت ديللي فمها لتعترض ، لكن السيدة دوبريان كانت قد مدت يدها ليقوداها الى غرفة الطعام .

النزهة الى بوي لم تكن اقتراحاً وانما امراً .

www.elromancia.com

الفصل السادس

سرير ديللي المقلوب رأساً على عقب ، يشهد على تلك الليلة القلقة التي قضتها . كيف ستكشف الحقيقة للسيدة دوبريان ؟ حقيقة علاقتها برايس . واثناء سهادها ، قررت ان تزيح النقاب عن هذه الحقيقة وبأقصى سرعة ممكنة مع انها مدركة تماماً للخطورة التي يمكن ان تحيق بها ، ومن المحتمل ان يلغى اعترافها هذا الامل في نشر قصائد رايس مورغان، ويصاب عمها والقراء محبو رايس بخيبة امل كبيرة. ولكنها لم تجد مخرجاً آخر . ديللي ايفريت متزوجة من عملها بحسناته وسيئاته ، وها هي الآن في موقع سيء ولكن عليها ان تضع حداً لهذا الزواج الذي وضعها في موقع حساس كهذا .

عشاء الليلة الماضية كان بالنسبة اليه نوعاً من التعذيب ، وبذلت جهداً مضنياً لكي تمنع رغبتها من قول الحقيقة ، ومن دون اي شك لولا حضور راوول لاعترفت بكل شيء للسيدة العجوز .

ماذا ، كيف ، ومتى تعترف لها ؟ السؤال كان صعباً ويبدو انه من المستحيل ان تتحادث على انفراد مع السيدة دوبريان . فهي لا تريد ان تتحدث امام راوول عن حياتها العاطفية لانها تخافه وتخاف سخريته

ولكنها بدأت تحب السيدة العجوز ولا تريد الاستمرار في خداعها .

وكذلك كان لديها سبب أعمق واقوى ، الا وهو كشف نفسها لتشعر بالراحة .

ومهما يكن من امر فلن تتراجع عن قرارها . وشعرت بشيء من الارتياح وهي تمشط شعرها امام المرآة ولكنها عبست عندما لمحت الآثار الحمراء التي لا تزال على عنقها .

لبست كنزة رمادية فاتحة ، وسروالاً رمادياً غامقاً ، وربطت حول خصرها شالاً احمر مكان الحزام . وبعد ان التهمت افطارها بسرعة عادت الى البرج . فتحت القفل بسهولة ، يبدو ان احداً قد دخل قلبها .

وعندما فتحت الباب لم تصدق عينيها ، عدة لمبات وضعت في الغرفة مما جعلها تشع بالنور ، سجادة كبيرة حمراء غطت الارض ، كنبتان تشبهان اللتين في مكتب راوول مع طاولة منخفضة . وعلى المكتب السنديانى الكبير لمبة جميلة الشكل ، وعلى طول الجدار صفت الكرتونات المغلفات بعدما ازيل عنها الغبار . واخيراً وعلى مكتب صغير آلة كاتبة كهربائية جديدة .

هل يمكن ان يكون راوول فعل كل ذلك من اجلها ؟

فتحت المغلف الاول ، انه يحتوي على القصائد التي نشرها رايس منذ ثماني سنوات والتي لا توازي ما

كتبه مؤخراً . وضعتها على الطاولة ، واحست انها غير قادرة على التركيز ، فاسندت رأسها على يديها ونظرت في الفراغ وسبحت في احلامها .

قررت ان تشكر راوول قبل ان تباشر العمل ، والتقت ارنستين في الصالون ترتب باقة الورد .

«اين السيد راوول ؟ »

« انه يعمل في مرسمه ، ولكنه عندما يرسم لا يتوقف الا لتناول الطعام ، ومن الافضل عدم ازعاجه . »

قالت بحزم:« انا على استعداد لتحمل النتائج ، اين يقع مرسمه ؟ »

« كيف ؟ انه في الاسطبل . »

في الاسطبل يا له من مكان سخيف ، اذاً لا بد ان يكون بارداً ، رغم شمس الربيع التي بدأت تدفىء الجبل . صعدت الى غرفتها واخذت سترة من الصوف الاحمر .

نقرت على الباب ولم تتلق جواباً ولم تجد اية نافذة لتعرف من خلالها اذا كان راوول في الداخل ام لا. نقرت بصوت اعلى ، ولكن لن يرد احد، دفعت الباب ودخلت . وقفت مدهوشة ، المرسم يسبح بالنور ، بعد ن استبدل السقف بقبة زجاجية ، وعلى الحائط مجموعة من اللوحات وعلى خشبة طويلة مجموعة من الالوان ، كمية من الفرش وأوانٍ فخارية ، ورسوم تحضيرية .

كان راوول يقف امام لوحة كبيرة ، التفت ونظر الى ديللي بدهشة .

«ما الذي جاء بك الى هنا ؟ »

«اردت ان اشكرك .»

ازدردت ريقها واسفت للمبادرة الطيبة التي حاولت القيام بها . وضع لوحة الالوان والريشة على الطاولة متذمراً من الازعاج .

«الم يحدث لك ان قرعت الباب قبل الدخول الى مكان ما ؟»

قالت بهدوء :

« هذا ما فعلته . »

«وعندما لا تتلقين جواباً ، هل تستغلين الموقف دائماً لتنسلي الى الداخل ؟ »

«لا ، لكن ...»

«لا احب ان يزعجني احد اثناء العمل . »

« في هذه الحالة ، عليك ان تقفل بالمفتاح . »

« هذا ما افعله بشكل عام .»

واسرع الى الباب ليقفله .

« من الافضل ان تدعني اخرج اولاً . »

استند بظهره الى الباب ولف ذراعيه على صدره .

«اشرحي لي اولاً، لماذا جئت الى هنا ؟»

«قلت لك لكي اشكرك »

«ولماذا تشعرين بأن عليك ان تشكريني ؟ »

«اشكرك على طريقة ترتيبك غرفة البرج . »

«اقبل شكرك، وماذا بعد ؟ »

«لا شيء ، انتهيت .»

قالتها بدهشة .

فقال:«البارحة مساء كان في قلبك شيء ما تريدين قوله . »

كيف استطاع ان يعرف ذلك ؟ وبدا لها كأنه يقرأ ما بداخلها ...

«لا اعرف، ماذا تتصور ؟»

«تكذبين بالنسبة لما اعرفه واحسه ، ومن الافضل ان تقوليه بصراحة . »

«ابداً ليس لدي ما اخفيه . »

ادارت نظرها عنه خوفاً من ان يقرأ الحقيقة .

قال بلا مبالاة:«كما يروق لك ، لكن الباب سيظل مقفلاً حتى اعرف . »

وعلق المفتاح على مسمار في اعلى الباب .

«تحت هذه الظروف ، سأنتظر حتى تقرر ان تفتح لي الباب .» التفتت واقتربت بهدوء . خلعت سترتها والقتها بلا مبالاة على طرف الطاولة . دارت حول اللوحة وهي آخذة بعين الاعتبار انه يتابعها بنظراته. لكنها متمسكة بألا تعيره اهتماماً ، اللوحة لا تزال تخطيطاً ، وهي عبارة عن صورة لامرأة في الثلاثين من عمرها ، جميلة جداً ذات شعر

اسود. واحست بانها نفرت منها ، لم تعرف صاحبة الصورة، لكنها عرفت توقيع الرسام . التفتت بعينين جاحظتين الى راوول .

« انت سان جوست .»

«تماماً . »

ورسم ابتسامة ساخرة على شفتيه .

«لكن هذا الاسم ...»

تذكرت اسم القرية التي نزلت بها من القطار ...سان جوست .

«... بالتأكيد استعرت اسمك من اسم القرية . »

«انه بالاحرى على العكس . »

«لكن ...»

«انه اسم عائلة والدتي، ملاكي هذا القصر منذ القرن السادس عشر . »

«وانت؟ »

«راوول اتيين دوبريان دو سان جوست . »

وعندما ابتسمت اضاف :

«يبدو ان الاسم مضحك بالنسبة لك . »

« انه اسم نبيل ... لدرجة انني عندما اتذكر كيف اعتبرتك كواحد ...»

«كواحد من الخدم ؟ أتذكر احتقارك عندما استقبلتك في المحطة.»

ابتسم بمكر كاشفاً عن اسنان ناصعة البياض .

www.elromancia.com

« كان علي ان افكر بأنك رسام مشهور بحاجة الى موديل في هذا المكان البعيد . »

«لدي مرسم آخر في باريس حيث امضي جزءاً من السنة ، لكن اوفيرن لا تخلو من النساء الجميلات . »

إوضحت قائلة:« لم اشأ ان اقول ذلك ، لكني كنت ألمح الى الطلبات.»

اجاب بثقة:«لا ارسم حسب الطلب، انا اختار المواضيع بنفسي.»

«اذاً فانت لا تحتاج الى موديل للرسم . »

«اعمل بشكل مختلف ، ارسم تخطيطاً ، واسجل انطباعاتي ثم اضيف التفاصيل . وبعد ذلك لا يتبقى الا ان اباشر ، وفي بعض الاحيان يسهل رسم اللمحة الانسانية لكائن ما عندما يكون غائباً.»

اقترب من اللوحة وتفحصها ثم تابع :

«الموديل يتكون من الجلد ومن العظم ويمكن ان يسليني ، اتصوره في جوهره ببساطة . »

راقبها بتهكم بعد ان القى نظرة اخيرة على اللوحة .

«اعتقد انك ترغب بمتابعة العمل . »

«لست على عجلة ، النتيجة لم تعجبني اليوم . »

سحب علبة السكائر من جيب قميصه القطني ، ذي الاكمام المرفوعة الى الاعلى والتي كشفت عن عضلات ذراعيه ونعومة يديه ، اما فتحة الصدر فقد كشفت عن سمرته الجذابة .

«هل تريدين سيكارة ؟ »

«لا شكراً ، لا ادخن . »

«لا تمارسين الرذائل الصغيرة ، حسبما ارى . »

واكد على كلمة صغيرة واحست ديللي بان طبيعته العدوانية بدأت تستيقظ .

«لانك محافظة على ما يبدو .»

ردت بعصبية:«ولماذا اكون كذلك؟ فلوحاتك لا تخلو من النساء.»

وبحنق اشارت الى اللوحة التي يرسمها .

«مثل هذه ، على سبيل المثال ...»

«هذه ؟ بكل تأكيد . »

ولم يخف مزاحه مما جعلها تثور اكثر ولم تعرف ان ترد عليه بالاسلوب نفسه فقررت ان تهاجم لوحته .

«لا احب هذا التعبير.»

«هل شعرت بالغيرة منها ؟ »

لقد طعنها في العمق . رفعت يدها لتصفعه لكنه كان اسرع منها فامسك يديها وسمرها في مكانها .

ترنحت من السخط وركلته بعنف على قصبة رجله .

«امرأة شرسة.»

وبحركة سريعة ثنى ذراعيها خلف ظهرها ، وشدها حتى انهكت قواها وتوقفت عن المقاومة .

«والآن ستعترفين ، لماذا جئت الى هنا ؟»

كان صوته هادئاً ومهدداً .

«شرحت لك ذلك . جئت اشكرك . »

«اريد الحقيقة ، والحّ على ذلك .»

«ليس هناك سبب آخر . »

« مساء البارحة كتمت شيئاً ما .»

«لا . »

فتل ذراعها مرة اخرى وبقوة اكثر .

«اعترفي . »

«اتساءل كيف اوضحت حقيقة علاقتي برايس امام والدتك؟ »

ترك ذراعيها وتفرس فيها باهتمام .

سألها:«ماذا يعني هذا ؟ حذرتك من ان تعرف والدتي شيئا. »

«لا ، ليس فيما يتعلق بما تسميه انتحاراً . حاولت ان اشرح امس ان خطوبتي لرايس لم تكن حقيقية . »

«يجب الا تعرف ذلك مهما كلف الثمن ، لأن هذا يمكن ان يقضي عليها . »

«انت لا تريد ان تفهم . »

«افهم اكثر مما تتصورين ، ولكني لا اريد مناقشة علاقتكما العاطفية ، وبالنسبة لأمي ، فأنا امنعك ان تكشفي لها اي شيء على الاطلاق . »

«لكن ...»

«انت لم تسببي لها اية اساءة حتى الآن ، دعيها لاحلامها .» لم تستطع ديللي ان تسيطر على رجفة

جسمها ، حاولت ان تشرح اهمية اعترافها للسيدة العجوز .

اوجزت قولها .

«انا آسفة فعلاً .»

عانقها وشعرت بأن الارض مادت من تحت قدميها. احست بأن الدم يغلي في عروقها . رفعت يدها الى صدره لتبعده ولكن راحتها لم تطاوعها .

ثم نهض فجأة وتركها تلهث وابتعد عن الطاولة . وبعد ان لامستها اصابعه استعادت ديللي وعيها .

«ما الذي اصابك ؟ »

اجاب بصوت خشن:

«ان ما اصابني واضح .»

«توقف فوراً .»

«اليس هذا ما تريدينه ؟»

صفعها صوته كضربة سوط ، استجمعت طاقتها ووقفت . صرخت وهي تدفعه بيديها :

« لن تستطيع ذلك .»

قال باستهزاء:«ولماذا لا ، منذ يومين وانت تحاولين اخفاء دعوتك . »

لم تصدق ديللي اذنيها .

«دعوتي؟ ستكون بلا شك الرجل الاخير على هذه الارض الذي يمكن ان افكر به . »

«لا ؟ انت تفضلي من دون شك في الرجل

الذي لا يكشف الاعيبك ، كالمسكين رايس . »
صرخت وهي تشتعل غضباً :
«رايس على الاقل كان لطيفاً .»
حدجها بنظرة خارقة مما جعلها تخفض نظرها ، ثم ذهب وفتح الباب وانتظر .
كانت لا تزال ترتعش ، عبرت المرسم بعزة نفس ، وتوقفت لحظة على العتبة .
تمتمت بتلعثم :
«انا آسفة . »
وغضبت، ساخطة من الاعتذار مرة اخرى من دون سبب .
«في الوقت الحاضر ، دعيني اتابع عملي. »
ختم الموقف بصوت حازم مليء بالحقد .
ورأت في اعماق عينيه بريقاً خطراً .
وفي النهاية فصل الباب المغلق ما بينهما .

الفصل السابع

مدينة بوي تقع على سهل منخفض حيث يقوم رأس جبل بركاني هائل تكاد تنافسه الصخور في الزحف على السطوح الحمراء الداكنة ، والجدران الرمادية الضائعة في الاخضرار .
ورغم اسفار ديللي الكثيرة ، لم تكن قد شاهدت مشهداً خارقاً للطبيعة كهذا فوقفت صامتة من شدة الاعجاب .
صورة فخمة لسيدة فرنسا على اكبر صخرة ، وهي مخروطية الشكل تدعى صخرة كورنيل .
اخذ راوول دوره كمرشد بشكل جدي وبدأ يشرح لديللي تاريخ المنطقة . حدثها عن الهياكل الرومانية الشهيرة وعن المسلة المصخرية ، كان الهواء ما يزال بارداً نقياً ، والضباب يغطي عمق الوادي وديللي تنحني خارج السيارة لترى بشكل افضل .
كانا قد خرجا بعد تناول طعام الافطار مباشرة .
كان راوول في بداية الرحلة ثرثاراً اكثر من المعتاد وقد بدا جذاباً الى درجة كبيرة .
اشار الى الاماكن الجديرة بالاهتمام كما قص عليها تاريخهم، ثم اوقف سيارته لتمتع نظرها بجسر يصل بين جبلين وشرح لها بأن هذا مثال للفن الهندسي

www.elmanara.com

الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر ، عندما غزا الخط الحديدي هذه الاماكن البعيدة مغيراً العادات والتقاليد في حياة الشعوب السالفة . وعند وصولهما الى بوي تحدثا عن تنظيم برنامج ليومهما .

«سنزور المعبد القديم بعد الظهر ، هذا البناء المتأثر بالفن البيزنطي ، الذي وسعوه في القرن الثاني عشر فبنوا جزءاً منه في الفراغ .»

القت ديللي نظرة على دليلها ، لم يعد مشدوداً ولا منغلقاً على نفسه كما كان في مناسبات اخرى. انه يرتدي بدلة من جلد الغزال مع كنزة من الصوف البني مما اظهر رشاقة قوامه . وبذل راوول جهده ليكون لطيفاً . لم يتجابها ولا مرة واحدة منذ اسبوع.

قال بابتسامة عريضة :

«يجب تعميق مثل هذه الافكار . »

يا لها من اسنان لامعة وجميلة. قالت لنفسها بشكل لا ارادي . وبعد دقيقة صمت اجابت :

«هذا الطراز يجعلنا نعتقد اننا نعيش في عصر آخر.»

«اليونان والرومان وغيرهم جاؤوا الى هنا، فالمدينة قديمة جداً ولا يمكن لأي شخص ان يعرف حقيقة اصولها.»

قال حين انعطف بالسيارة مبتعداً عن مجموعة اطفال يلعبون:

«انه يوم السوق .»

تابع وهو يحاول ان يحشر سيارته في مكان للوقوف.

«ان عربات الباعة ليست بعيدة من هنا اذا كان هذا يستهويك . »

قاطعته بعينين لامعتين :

«نعم ...اذا سمحت .»

مال باتجاهها ليفتح لها الباب فامسكت انفاسها عندما احتكت ذراعه بها. ترجلت من السيارة ومشت بضع خطوات لتحرك قدميها ، وكانت قد ارتدت ملابس مريحة وتركت شعرها يتساقط على كتفيها .

السوق عبارة عن موزاييك من الالوان ، فعلى اطراف الساحة ركام من المجموعات الفنية وعربات النقل والفلاحين والمشترين . ثم صفوف البضائع المنشورة بالاحمر والاخضر والاصفر من الخضار ، وفي مكان آخر معرض للاسماك ، ومجموعة متنوعة من الاجبان والزبدة والعسل .

وفي احدى زوايا السوق كان باعة الدانتيل . لم تسمح ديللي لنفسها ان تمس هذه التحف المصنوعة يدوياً من شالات وقبعات ووسائد واغطية طاولات.

وشرح لها راوول ان بوي كانت مثل بعض المقاطعات وعلى مدى قرون مركزاً مهماً لصناعة الدانتيل اليدوي بالخرز او بالابرة . فالنساء يقمن بالحياكة

www.elmaktabeh.com

في القرى المعزولة بسبب الثلوج طيلة فصل الشتاء ، وهذه المهنة في طريقها الى الزوال بعد دخول عصر المكننة .

اخذت ديللي بيدها قميصاً من الدانتيل ، كان كالتحفة في رقته ونعومته ، حبكة الدانتيل ذات شكل عنكبوتي تحتها قماش من القطن الناعم . الرسم تقليدي ولكن التفصيلة حديثة ببساطتها ، مع كمين طويلين ضيقين وفتحة صدر واسعة . تنهدت ديللي بحسرة وتساءلت اذا كانت تجرؤ ان ترتدي شيئاً مثله في يوم ما .

«حان الوقت للتفكير بالحذاء ، اعرف مخزناً لا يبعد كثيراً من هنا . »

وقادها في شارع تجاري .

«عليّ انا ايضاً شراء بضعة حاجيات من السوق ، لذا سأطلب منك ان نلتقي بعد ساعة ونصف في المقهى الكائن في جادة لويس. »

«الن تبقى معي؟»

واحست بانها كانت مضحكة بسؤالها هذا .

«بالتأكيد لا. »

اجابها بنعومة ودلها على المقهى وابتعد .

كانت الساعة تجاوزت الثانية عشرة عندما وصلت ديللي الى المقهى تحمل سلة فيها بعض المشتريات بالاضافة الى الاحذية . اشترت الصابون وعلبة

شوكولا للسيدة دوبريان وثقالة ورق لعمها ، عثرت عليها في مخزن الاثريات .

كان راوول جالساً على كرسي يقرأ الجريدة الاسبوعية، وبعد ان جلست ديللي، طواها ووضعها على الطاولة الرخامية .

«هل انهيت مهمتك ؟ »

«نعم ، اكتشفت بعض المخازن ، لكن الواجهة لا تعرض ما اهتم به وافضله.»

حدجها بنظرة سريعة وقاسية .

«مع انني كنت اعتقد انها كانت نوعاً من الهوس بالنسبة للانثى. »

قالت ضاحكة :

«ينقصك الكثير لمعرفة النساء . »

تمتم :

«هذا ما بدأت اتعلمه . باشري بمساعدتي وذلك بالاشارة الى ما تفضلينه . »

وقادها الى مطعم صغير لا يمكن لسائح ان يكتشفه. اختارت بعض الاصناف التي اشتهرت بها المنطقة، واثناء الطعام تبادلا الحديث في مجموعة من المواضيع ، وتلقت ديللي بسرور اختفاء عدوانية راوول حيث بدا رفيقاً جذاباً .

قالت وهي تتذوق القهوة :

«ان يكون الانسان فناناً عليه ان يقدم المزيد . انت

تنظم عملك في الوقت الذي تراه مناسباً . تحصل على اجازة حسب هواك ، بعيداً عن الرتابة اليومية في الاعمال المكتبية . لست مرغماً ان تعمل تسع ساعات في اليوم .»

«اعمل احياناً اكثر من ذلك بكثير . »

«ولماذا قررت ان تتخذ اسم سان جوست كرسام وليس دوبريان؟»

«لان عائلة ابي كانت معروفة جداً منذ القدم ، وكذلك اسم والدتي كممثلة شهيرة . رفضت ان استغل هذه الشهرة لاسباب عائلية. »

«وكيف ذلك ؟»

«لقد كان احد اجداد عائلتي صديقاً لروبسبيير ايام الثورة الفرنسية وهو اول من طالب برأس لويس السادس عشر . وهو الوحيد الذي حافظ على انفته عندما اقتيد مع روبسبيير وأنصاره الى المقصلة . »

تذكرت ديللي ثورة راوول في البرج وتساءلت اذا لم يكن قد ورث الى حد ما طباع اسلافه .

«ولكن قل لي. لماذا اخترت هذا الاسم ؟ »

رد بثقة:«ربما لابرهن ان هذا الاسم ليس مرادفاً دائماً للعنف، او لانني معجب بعناد سان جوست تحدياً لكل شيء.»

«يبدو لي ان هذا مخيف ، مهما كانت بواعثك . »

قال ضاحكاً :

« لننسى هذا، رجاء . هل لا زلت قادرة على تسلق برج المعبد؟»

«بالتأكيد، اذا قررت ان تصحبني .»

اجابها:«اذاً هيا بنا ، ولكن لنضع اولاً مشترياتك في السيارة .» كان الصعود قاسياً ، وكانت ديللي تلهث من التعب مما اضطر راوول ان يجبرها على التوقف مرات عديدة لاستعادة انفاسها .

«هذا المعبد كان ملجأ للنساك الذين استقروا فيه رافضين النزول بعد ذلك الى الوادي . »

قالت:«ان هذه القصة حزينة . انا شخصياً اتعب من الوحدة.»

«لربما كانت حالة النساك كذلك ، ولكنهم وجدوا السلام الذي لم يتوفر لهم على الارض . »

«يا له من وجود قاس.»

«بالتأكيد لا يمكن ان اتصورك في معبد بل بالاحرى في حاشية احد امراء عصر النهضة او حتى في دور بوديكا، عند الملكة الانكليزية التي حاربت ضد الرومان، والنتيجة ان حوالي سبعين الف شخص ذبحوا. »

كان على ديللي ان تغضب او تضحك، ففضلت ان تسلك الطريق الثاني لكي يمر اليوم بشكل جيد ولا حاجة للعودة الى العدوانية .

«من يعرف، لربما اكون ناسكة جيدة . »

«وان كنت لا اقتنع بذلك، ولكنه بلا شك شيء جميل جداً .»

«اشكر اطراءك . »

وابتسمت له ابتسامة ساحرة .

«عليك ان تضحكي في معظم الاحيان لان هذا يلائم ثغرك. »

فقالت:

«انت ادعيت بأن فمي كبير جداً عندما وصفتني لوالدتك. »

«بالفعل، ولكن علي ان اتراجع تماماً عن تقديري السابق. »

«لا تفعل، لان ذلك سيجرح كبرياءك. »

«هل تردين دائماً الصاع صاعين؟ »

«اوْمن بالعلاقات المتبادلة ، يجب الا تقبل المرأة الخضوع . »

«الحرية المطلقة ، كالرجال ؟ »

«عندي قواعدي الخاصة في الحياة . »

«لا شك في ذلك . »

«احدى هذه القواعد الا اناقش في الاخلاق من لا يملكها . »

«ومن اين اتتك مثل هذه الفكرة ؟ »

«يبدو انك تنسى بسرعة . لقد اتتني من امور اود ان انساها .»

وفجأة دوى صوت الرعد في السماء، ارتعشت ديللي واستدارت .

خيم صمت ثقيل الى ان وضع يده على ذراعها قائلاً بلطف:

«اطلب ان تسامحيني . »

«انت لا يمكن ان تنسى لحظة واحدة. »

«طلبت منك ان تسامحيني . »

لفظ هذه الكلمات بصعوبة وكأنه شخص قلما تعوّد الاعتذار . ثم نظر الى الافق بوجه حاد .

«هل يجب ان اتوسل اليك؟»

كان في لهجته نوع من السخرية المشكوك بها . قالت ديللي:

«اسامحك اذا نزلت ساجداً المائتين وسبعين درجة على رجل واحدة.»

«لدي فكرة اخرى . اقترح لدفع غرامة مشرفة دعوتك للعشاء لدى عودتنا . انني اعرف مكاناً مثالياً في فندق ريفي ممتاز على بعد بضعة كيلومترات من سان جوست . »

«اتفقنا ، ولكن لا يزال الوقت باكراً . »

«بالتأكيد ، لكن بعد ان ننتهي من جولتنا ، ثم نمضي ساعتين في العودة سنكون مستعدين لعشاء ممتاز . احدى مواهب نويل ، انها تعرف ان تقترح الاشياء المفضلة . »

www.elromancia.com

«المرأة التي تدير الفندق ، نويل روسينيول ، ارملة ... تعمل في هذا المكان في فترة الصيف . »

تخيلت ديللي نويل كماري آنج او ارنستين ، واحدة من افضل طباخات الريف ، وفرحت في ان تتذوق عشاء حدثوها عنه في لندن .

وبعد ان زار المعبد وشرح لها راوول كخبير عن تاريخها وكنوزها ، جلست في السيارة منهكة وتثاءبت .

فقال لها:«امل الا تعودي لتنامي ، انت في طريقك لان تكوني من اهل المنطقة ، تنامين مبكرة وتنهضين مبكرة . »

وبعد مرورهما بسان جوست ، سلك راوول طريقاً ريفياً يمر بين الغابات والمراعي .

«الفندق ليس بعيداً من هنا ، هل تشعرين بشهية للطعام ؟ »

«اكاد اموت جوعاً ، واعتقد انني استطيع ان آكل عجلاً لوحدي . »

كان الفندق عبارة عن مسكن ريفي قديم ، رمم حديثاً بذوق شديد ، شجيرات الورد تغطي الجدران وبستان الخضار يمتد الى الناحية الاخرى من المسكن .

ولأول مرة فتح راوول باب السيارة لديللي وامسكها من ذراعها ليوصلها الى المدخل . وتقبلت ذلك بطيبة خاطر .

دخلا المبنى ، كانت اضاءة الصالة خافتة وهي مفروشة بذوق . ظهر خيال امرأة ، اقترب منها راوول وحياها بحرارة . كانت ديللي مبهورة من الاضاءة فاغمضت عينيها نصف اغماضة لتتمكن من ان ترى بشكل افضل . وضع راوول ذراعه حول كتفي المرأة .

«نويل اقدم لك ديللي ، دليلة ايفريت التي حدثتك عنها ، ديللي هذه هي نويل روسينيول . »

تلقت ديللي صدمة ، انها المرأة نفسها التي يرسمها راوول ، جمالها لا يضاهى ، انها انيقة من اخمص القدمين حتى مفرق الشعر الاسود الفحمي . وشعرت ديللي بأنها قبيحة امام هذا الجمال الرائع .

«سررت جداً بلقائك يا سيدة . »

ومدت يدها ...

يبدو ان نويل لم تنتبه الى اليد الممدودة وتوجهت الى راوول بابتسامة متآمرة كشفت عن صفين من الاسنان الجميلة الصغيرة.

«لكنك يا عزيزي راوول لم تقل لي ان الآنسة ايفريت ذات شعر احمر . »

شعرت ديللي برطوبة يدها فانزلتها وهي تغلي في الداخل .

«تعالوا الى الصالون ، يبدو انك مرهقة يا آنسة ، ماذا فعلت بها يا راوول ؟ »

قالت ذلك وهي تتأبط ذراعه .

«قمنا بجولة على آثار بوي.»

«وطبعاً اظهرت حماسك كمرشد . انظر الى دليلة كم هي مرهقة . مع انك تبدو في كامل نشاطك . لكن لماذا تصرف طاقتك هكذا؟»

سألت وهي تهز كتفيها برقة .

«انه مجهود لا اقوم به من اجل احد . »

قالت ديللي وهي تشدد على لفظ الحروف :

«لقد سررت بكل لحظة في جولتي. »

التفت اليها راوول ونويل وحدقا بدهشة، فالعدائية التي صدرت من السيدة روسينيول اثارتها الى اعلى درجة ، وسمعت ضحكتها الرنانة المدروسة بعناية .

«اننا نشعر وكأننا كائن آخر عندما نكون بصحبة راوول ، كما نشعر بأننا مدللون اكثر من اللازم .»

اجابت ديللي وهي تقلد الضحكة المصطنعة لنويل :

«صحيح .»

تدخل راوول :

«اخفين مخالبكن ، ديللي ارجوك نحن في ضيافة نويل وهي احدى صديقاتي القديمات . »

وبخها كطفل سيىء التربية ونظر اليها بلوم مع انه كان عليه، لو انصف، ان يوبخ صديقته القديمة.

اجابت ديللي بابتسامة لطيفة :

«لا شك بذلك . »

«عزيزي راوول انت ايضاً اجهدت دليلة حتى انها

لم تعد تستطيع ان تتحكم بنفسها وهي بحاجة الى الراحة . انت كذلك امضيت يوماً متعباً . »

توجه راوول ليحضر الشراب . «انه بالفعل في بيته هنا.» هذا ما فكرت به ديللي وتصاعد غضبها فأخذت كوبها وجلست .

«راوول انا مسرورة برؤيتك ، عليك ان تتصل بي هاتفياً من وقت لآخر . »

«بنظري، ان الهاتف وسيلة تعذيب. »

«لكنه ضروري، لولاه لما عرفت انني عدت من باريس. »

جلس راوول الى جانب نويل ودار الحديث بينهما ، وكأنه نسي وجود ديللي . استغلت ديللي بعدها عن المحادثة في مراقبة نويل لعلها تكتشف عيباً فيها ، ولكنها للأسف لم تستطع .

«ستكون مجبراً على الذهاب الى باريس من اجل معرضك . »

«لا ... ليس هذا ضرورياً ، فمعظم اللوحات هناك ، اما البقية الموجودة هنا فسأرسلها في الاسبوع القادم، وسأذهب بعد شهر للافتتاح. »

«هل ستغيب فترة طويلة؟»

اجابها:

«اسبوعين على الاكثر، وسأمضي باقي الصيف هنا.»

«نشعر احياناً بالملل ... في هذا المكان البعيد . »

«انها تلعب لعبة الارملة التي لا عزاء لها . » قالت ديللي لنفسها. أشعل راوول سيكارتين وقدم واحدة لنويل .

«هل استطيع ان احصل على واحدة انا ايضاً ؟ »

التفت بسرعة مستغرباً هذا الطلب اللا متوقع من ديللي، ونهض ليعطيها السيكارة الأخرى ثم عاد ليأخذ مكانه بجانب نويل .

قالت ديللي :

«انا شخصياً اعشق ان اكون وحيدة . لكن بالنسبة للذين لا يملكون غنى داخلياً فهذا صعب الاحتمال.»

حدجها راوول بنظرة غامضة .

ثم قال بلهجة باردة :

«والبعض الذين لا يملكون اية تربية . »

«اعتقد اننا متفقان على الا نتحدث عن الاخلاق . »

نصحتها نويل ، مسرورة بدورها كوسيط :

«على مهل ، لا تثورا . يجب ان تنتقلا الى المائدة قبل ان يبرد الطعام . »

انزعجت ديللي ان تكون المائدة مجهزة لثلاثة اشخاص فنويل اذن كانت مدعوة للمشاركة في وجبتهما .

لم تشارك ديللي في حديث الاثنين . تحدثا عن اصدقاء مشتركين، وآخر ما قيل عن سان جوست

وعن بعض الاصدقاء في باريس ، حيث يملك مرسماً هناك ، وحيث تسكن نويل معظم ايام السنة .

وفهمت ديللي لماذا احست بهذه التعاسة ، لقد شعرت بالغيرة وهذا يعني انها وقعت في حب راوول دوبريان .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

«كنت ضيفة لطيفة . »
قالها راوول وهو يسرع في قيادة السيارة ، مركزاً انتباهه ليتجنب الافخاخ الليلية والطرق المحفرة .
اجابت ديللي : «بالكاد تكلمت بضع كلمات . »
اجاب:«صحيح ، ولكنها بضع كلمات مختارة بشكل جيد .»
تحاشى منعطفاً وعكس غضبه على القيادة .
«كم يمكنك ان تكوني عدوانية احياناً . »
«هذه احدى مواهبي .» قالتها بلا مبالاة مفتعلة.
لا فائدة من تذكيره بنويل ، فهي الاخرى يمكنها ان تكون عدوانية ، ولكنها على درجة من الذكاء تجعل الآخرين لا يلحظون ذلك .
احست ديللي بالاختناق، كيف انها بلغت الرابعة والعشرين من العمر ولا تزال تحافظ على استقلاليتها، من دون علاقة عاطفية والآن وبكل غباء وقعت في حب رجل يكرهها تماماً .
اوقف راوول السيارة في باحة القصر، فقالت في نفسها: عليّ ان اكلمه بشكل محبب لالغي التوتر الحاصل واعيد جو الصداقة الذي ساد بيننا قبل السهرة. هذا ما فكرت فيه ديللي .

تمتمت في اللحظة التي خرج فيها من السيارة :
«راوول ...»
اخذ بعض العلب التي كانت خلف المقعد واغلق الباب، فاما انه لم يسمعها او انه تجاهلها . بقيت فترة في السيارة ، وسمعت راوول يتوجه الى مرسمه ويغلق الباب . سكتت وحيدة في الظلام مع افكارها. ان هذا اليوم بساعاته الحلوة والمرة سيحفر في ذاكرتها الى الابد .
انها المغرورة التي تعرف دائماً ان تتصرف بجدارة. ها هي الآن تشعر بالغيرة وتحترق من حب بدون امل. لقد فقدت احترامها ، وشعرت بانها سترتمي بين احضان راوول لو خرج ثانية .
لكن الباب ظل مغلقاً ، وقررت ان تذهب وتنام بصمت.
استقبلتها ارنستين التي احست بحزنها قائلة:
«مساء الخير يا آنستي ، السيدة دوبريان في انتظارك.»
كانت ديللي في حالة سيئة ولكنها لا تستطيع الا ان تذهب الى الصالون . كانت السيدة العجوز تجلس على كرسيها المعتاد امام المدفأة والى جانبها جلست ارنستين على كرسي منخفض تقرأ لها . «وعندما يفتح الليل ابوابه للعاشقين ...»
عرفت ديللي انها احدى قصائد رايس الاخير المهدى

اليها . وعندما انتهت ارنستين ، التفتت السيدة الى ديللي بعينين مطفأتين تلمعان بالدموع ورفعت يديها الشاحبتين لاستقبالها .

قالت السيدة بصوت مخنوق:

«عزيزتي. سامحيني ، هذه القصيدة الجميلة ايقظت في الذكرى، حدثيني عن رحلتك الى بوي. »

كانت ديللي معقودة اللسان لا تقوى على قول كلمة واحدة .

«الن تقولي شيئاً يا عزيزتي ، ما الذي حدث ؟ »

قالت ارنستين :

«انها قصيدة السيد رايس التي احزنت الآنسة . »

تحسست السيدة وجه ديللي المبلل بالدمع وقالت:

«القصيدة ، بدون شك ، الذكريات ما تزال ماثلة وموجودة . وانا غبية لانني لم اراع ذلك . »

ارتجفت ديللي من شدة الانتحاب.«يا لها من سخرية.» قالت لنفسها ، انها تبكي ابنها وتعتقد انني اشاركها المها ، في الوقت الذي اتمزق فيه انا من حب آخر مستحيل . احضرت ارنستين كوباً وقدمته للسيدة العجوز . شربت منه لتطفىء حزنها ولوعتها.

«اطلب عفوك لضعفي يا اوجيني ، انا الآن بخير .»

«كل الجروح تلتئم مع مرور الزمن حتى جروح الروح يا عزيزتي. فذكرى الاشياء الجميلة لا تنتهي ، وان قلبك ما زال يفيض حزناً كقلبي . ولكن لن انسى

ابداً ان في حياة رايس ومضات من السعادة بفضلك. ولكنني آسف لانكما لم تتزوجا قبل وفاته ، كان سيسعدني ان يكون لي حفيد . »

«لم يفت الآوان ، ومن المؤكد ان راوول ...»

«على الاطلاق . »

وشرحت لها بان راوول لن يتزوج ابداً لانه صعب جداً وتنهدت بحسرة ومرارة .

«مع انه يبدو متعلقاً كثيراً بنويل . »

قالتها ديللي وهي تزيد جرحها الماً .

«نويل . اذا تزوجها ، ولسوء الحظ ، فلن تنجب له في حياتها طفلاً لانها تخاف كثيراً من ان يتشوه جمالها الذي تعتز به . لكن لننسى هذا ، المهم انت الآن . »

«اؤكد لك انني اشعر بتحسن كامل ، كنت متعبة قليلاً فقط.»

«لقد غرقت في عملك الاسبوع الماضي تماماً ، ويجب ان تستغلي اقامتك هنا في نزهات سياحية ، هل ذهبت الى شيزديو ؟ »

«لا ، ليس بعد .»

قالت السيدة العجوز:«يجب ان تذهبي الى هناك وتشاهدي الرقص الشهير . سأطلب الى راوول ان يصحبك الى هناك.»

لا تريد ديللي بأي شكل ان تمضي يوماً آخر معه ،

فبقدر ما تقلل من لقائه بقدر ما تشعر بالتحسن .
ردت:«انا بالفعل مشغولة جداً بقراءة اوراق رايس.»
«ليس هناك شيء مستعجل وسيسعدنا وجودك هنا لفترة طويلة.»
«لا اعرف كيف اشكرك ، لكن عمي متمسك بنشر كتاب رايس بأقصى سرعة ممكنة وانا متمسكة بان اكون عند حسن ظنه . »
قالت باستسلام:«في هذه الظروف ، لا استطيع ان الح كثيراً ، ولكن على الاقل وافقي على ان يصطحبك راوول في زيارة الى بحيرة الرجل الضائع ، انها قريبة جداً من هنا . »
«يا له من اسم غريب . »
«انه مكان جذاب جداً ، وحسب الاسطورة ان مدينة كانت موجودة قبل مجيء الرومان مكان البحيرة، حيث ان فتاة وقعت في حب صياد جميل لكنه لم يوافق وكان لا يهاب شيئاً، حتى اقسى الظروف، واحب فتاة اخرى.»
«وماذا حصل له ؟ »
«اقسمت الحبيبة انها ستدمر المدينة اذا ما عانق محبوبته في يوم ما ، لكنه سخر من التهديد ، وفي المساء نفسه ما كاد يمس محبوبته حتى انفجر البركان واضطربت الارض وغابت المدينة بين الامواج . حتى في يومنا هذا ، يزعم البعض اننا

نستطيع ان نرى البيوت المختفية في عمق البحيرة.
«ربما اذهب ذات يوم لاستكشافها . »

***

خلال الاسابيع التالية ، جاءت نويل مرات عديدة الى القصر ، وكانت ديللي تحذر ردود فعلها لانها تعرف الاسباب ونجحت في ذلك . لكن نويل لم تعرف كيف تخفي غيظها من وجود ديللي في القصر .
اما ديللي فقد تعودت ان تبقى في غرفة البرج كل مرة تأتي فيها نويل ، حتى ان عملها على اوراق رايس تقدم كثيراً ، ولم تعد ترى راوول الا قليلاً بعد تلك السهرة ، ولكنه كان يخرج مع نويل عندما تأتي ونادراً ما يتناول عشاءه مع امه . كذلك لاحظت ديللي ان ارنستين كانت تحمل له طعامه الى المرسم مرات عديدة ، ولربما يريد ان ينهي صورة نويل في الوقت المحدد للمعرض . وقد رأته ذات يوم يرسل بعض اللوحات في السيارة .
حاولت ان تطرد راوول من تفكيرها ، وانهمكت في العمل ، ولكن ما يزال اي تحريض منه يجعلها تضطرب في اعماقها ويمنعها من التركيز .
ذات يوم، عند نهاية الظهيرة سمعت الصوت المميز لسيارة نويل وكانت قد نزلت لتوها الى الصالون بعد ان اخذت حماماً ، تنتظر السيدة دوبريان . من

www.elromancia.com

الصعوبة تحاشيها هذه المرة ، قالت في سرها ، لأذهب على الاقل واحتمي في الباحة الداخلية .

وتسللت من دون تردد . كان الهواء بارداً ، واحست ان ثوبها القطني كان خفيفاً بالنسبة لهذا الفصل ، لكن لقائها مع نويل جعلتها تبقى في الخارج . كانت الورود بدأت تتفتح فاقتربت لتقطف واحدة .

«آف . »

سحبت يدها بسرعة وانسالت نقطة الدم من اصبعها.

«عزيزتي الآنسة ايفريت ، انت الوحيدة التي وخزها الشوك . »

ارتعدت ديللي وكأن شوكة اخرى وخزتها والتفتت نحو مصدر الصوت. لقد كانت نويل ، مرتدية ثوباً فخماً من التافتا، وعبرت الباحة بخطوات واثقة راسمة ابتسامة مفتعلة على شفتيها .

زهرة جميلة متفتحة، قالت ديللي لنفسها وهي تدرك تماماً انها بملابسها المتواضعة لا يمكن ان تنافس اناقة كهذه .

بدأت تقول بلطف : «اذا كنت تفتشين عن راوول ...»

قاطعتها وهي تداعب باصابعها ازرار الورد:

«راوول يعرف اين يجدني . »

«اذا كان لديك بعض الوقت ، استطيع ان اقدم لك عصيراً بارداً . »

«اذاً راوول لم يقل لك شيئاً ؟ انا مدعوة هذا المساء للعشاء فزيارة الام من وقت لآخر لا بد منها . »

ثم تابعت بصوت متوازن :

«لقد الح راوول كثيراً من اجل هذه الدعوة واسرّ لي بان ذلك ضروري وان لديه ما يحدثني به . »

استعجلت ديللي في تغيير مجرى الحديث لانها غير متحمسة لسماع المزيد :

«هل يتقدم العمل في اللوحة ؟ »

هزت نويل كتفيها .

«انه يعمل ليل نهار . »

«ان حظك كبير ، وانه لشرف كبير ان يرسمك سان جوست . »

«اسيتحدثون عني ؟»

انعقد لسان ديللي عندما اقترب راوول منها .

«بالتأكيد يا عزيزتي ، لا يمكن الا ان نتحدث عنك وباطراء . »

انحنى نحوها وحياها بحرارة . لا حاجة لوجودي، فكرت ديللي وابتعدت لتدخل الصالون .

سألها راوول:« اتريدين ان تنسحبي فور وصولي ؟ »

«اشعر بالبرد قليلاً .»

وكان ذلك صحيحاً ، لان جسمها كان مقشعراً .

قالت نويل بضحكة ساحرة ولكن هشة :

«كان عليك ان تضعي سترة على كتفيك . »

فقال راوول:«صحيح . ان الطقس ليس دافئاً . »
وضع سترته على كتفيها، وكانت هذه المرة الاولى التي يقترب فيها راوول منها بعد نزهة بوي .
قالت نويل بلهجة متضايقة :
«قد يكون من الافضل ان ندخل جميعاً . »
اجاب راوول متوجهاً نحو الباب :
«فكرة جيدة .»
وحال وصولهم الى الصالون ، وضعت ديللي السترة على مسند الكرسي آملة ان تتحاشى اي احتكاك مع راوول . راقبته ديللي . قميص حريري بصدر مزخرف ، بدلة ذات تفصيلة رائعة ، لكن راوول الذي احبته كان ذلك الذي عرفته يرتدي قميصاً قديماً وسروالاً مليئاً ببقع الالوان .
قالت نويل وهي تحمل له السترة :
«راوول ، من المؤكد ان خياطك عبقري . عليك ان تستعين به ليصنع لك ملابس خاصة للعمل . »
خنقت ديللي ضحكة عصبية كادت تفلت منها فنظر اليها راوول متسائلاً :
«هل قلت شيئاً ؟ »
«لا .»
وضعت يدها على فمها وسعلت .
«ربما تأثرت من البرد في الخارج او اثناء العمل في البرج.»

سألها:«هل تريدين ان تستعيدي سترتي؟»
قالت نويل متضايقة من لطافة راوول :
«راوول . دليلة ليست طفلة يجب لفها ووضعها في السرير لدى اول عطسة . »
ثم امسكته من ذراعه وقادته امام اللوحات ورسمت تعبيراً خجولاً على وجهها وهي تنظر اليه قائلة :
«اين ستعلق اللوحة الاخيرة يا عزيزي ؟ »
«ليس على هذا الجدار . »
تساءلت بغيظ :
«الست مسروراً من عملك هذا ؟ »
اجابها:
«على العكس ، اعتقد انها اجمل لوحة احببت رسمها . »
«اذاً ستعرضها في باريس عند سفرك في اليومين القادمين . »
رد بثقة:«لا ، لدي رغبة ان احتفظ بها في القصر وفي منزلي . »
«مكان الشرف . »
لمعت عينا نويل من الفرح ثم غطت وجهها سحابة من الظل.
«اتعتقد ان الموديل ليس اهلاً لان يعرض ... ويعجب الآخرين ؟ »
«افضل ان احتفظ بها لمتعتي الشخصية . »

www.elromancia.com

«لكن رغم كل شيء لوحة مهمة كهذه ، لا تكون معروضة ...»

ولم تكمل جملتها فقد سمعت صوت ضحكة ناعمة . اكملت ديللي الجملة في داخلها .

«... النسخة الاصلية ، يعني الفاتنة الجذابة نويل روسينيول.» ثم ذهبت وجلست على احدى الارائك، وكانت تحس بأن راوول يراقبها رغم حديثه مع نويل .

تابعت نويل وهي تجلس بدورها :

«انا سعيدة ان تكون راضياً عن عملك . »

«لا تستبقي الاحداث . انتظري حتى تريها فقد تصابين بخيبة امل . »

«ستعجبني حتماً ، متى استطيع ان اشاهدها ؟ ان رغبتي قوية في رؤيتها . »

«الفضول عيب سيء يا عزيزتي ، لا يمكن لاحد ان يرى لوحاتي قبل ان تنتهي تماماً . »

قالت ديللي في سرها : هذا ليس صحيحاً فقد رأيتها.

«لكن يا عزيزي ...»

«ليس هناك شذوذ عن القاعدة عندما ارسم ، الشخصية الحقيقية للموديل تنكشف لي شيئاً فشيئاً اللوحة تريني اشياء قد تفوتني لدى الرؤية البصرية، الرسم بالنسبة لي طريقة لكشف روح الموضوع . »

«امل ان يكون الاكتشاف حسناً . »

«حسناً و ... وسيئاً ، اكتشاف الجمال هو ان نذهب الى ما بعد الظاهر . »

سألت نويل باشمئزاز :

«تريد ان تقول كسلسلة اللوحات التي رسمتها للفلاحة التي من اوفيرن ؟ لا افهم ابداً كيف تستطيع ان تجد طباختك جميلة . »

«ماري آنج تمتلك جمالاً خاصاً . »

«هذا يعني انك عبقري يا راوول ، وآمل الا تكون قد بذلت مجهوداً كبيراً في اكتشاف الموديل الذي تعمل عليه حالياً . رمقته بنظرة مثيرة ، ولم تستطع ديللي ان تتماسك فقالت :

«هذا ليس اكيداً بعد ان يكشف ما يفلت من الرؤية البصريه...»

التفت نحوها راوول ونويل وكأنهما اكتشفا وجودها تواً . يا لي من فتاة لا تحسن التصرف، قالت في نفسها وهي ترى وجه نويل الغاضب ووجه راوول المتقلص .

ولكن دخول السيدة دوبريان انقذ الموقف .

الفصل التاسع

ورغم كل شيء ، مرت السهرة على خير ، فنويل لم تتأخر في ان تستعيد ثقتها بنفسها ومع مرور الوقت كان مزاجها يتحسن ، حتى انها ابدت لطفها لديللي. بدون شك لانني اعلنت بانني اقترب من نهاية عملي، هذا ما قدرته ديللي . وبالمقابل فان السيدة دوبريان تلقت الخبر بانزعاج .

«ديللي عزيزتي ، اسبوع واحد فقط ، هذا قليل جداً. هل انت متأكدة من انك لا تستطيعين المكوث هنا لفترة اطول ؟ »

اما راوول فقد احتفظ بصمته الى اللحظة التي تطرقوا فيها الى موضوع آخر .

في اليوم التالي كان الطقس بارداً . لبست ديللي كنزة سميكة قبل ان تعود الى البرج . تنهدت بعمق وانقضت على كتلة الوثائق المرتبة على المكتب .

هل عليها ان ترتب هذه القصائد حسب تاريخها ام اسلوبها ام موضوعها ؟ لم تتوصل الى قرار . وشعرت بخمول في تفكيرها، ربما لان الاوراق الاخيرة كانت اقل اهمية ، او لانها ستغادر هذا المكان عما قريب، ولن تعود اليه ابداً . لقد بدأت تحب المكان والسيدة المتسلطة التي تسكنه ، ثم ان هذه هي المرة الاولى

في حياتها تعرف طعم الحب ... ولكن عليها الا تفكر براوول .

اجبرت نفسها ان تركز اهتمامها في العمل ...لكن الصفحة التي امامها كانت عبارة عن طلاسم حقيقية . انها واحدة من آخر قصائد رايس ، مليئة بالتشطيبات والتعديلات ، ويبدو انه كتبها تحت تأثير الهذيان ، ولكن ربما تستطيع ان تجد اماكن الكلمات بسهولة لدى ضربها على الآلة الكاتبة .

وضعت ورقة بيضاء في آلتها وباشرت بنسخ الابيات، ولم تشعر بمرور الوقت بعد ان اخذها العمل . سمعت احداً يقرع الباب وتأكدت من ان ارنستين جاءت تذكرها بموعد الطعام . تنهدت ديللي بارتباك وفتحت الباب ، تجمدت ولم تعد تقوى على الحركة. انه راوول مع انه لم يعد الى البرج منذ ذلك اليوم البعيد جداً ... ماذا يريد اليوم ؟

«هل تسمحين لي بالدخول ؟ »

كان يلبس السروال المليء ببقع الالوان ، وقميصاً قطنياً ازرق اللون مفتوح الصدر . حاولت ديللي ان تتجنب نظراته لكي لا يكتشف اضطرابها .

وابتعدت عن الباب لتفسح له مجالاً للدخول ، وحاذرت ان تغلق الباب وراءه .

«هل تقتربين من نهاية اتعابك ؟ »

اجابت ببساطة لكي لا تفتح مجالاً للنقاش :

www.elromancia.com

«نعم .»

«حسناً . »

ومد لها علبة كان قد اخفاها وراء ظهره .

«ما هذا ؟»

«اقبليها كهدية عيد . »

تمتمت وهي لا تقوى على القيام بأي حركة :

«لم يكن هذا ضرورياً . »

«خذيها (والحّ) انت حملت الى والدتي الكثير من الراحة ، وهذه طريقة للشكر بالنسبة لي . »

«لا ، لا استطيع . »

«بلى تستطيعين . »

بريق من المداعبة لمع في عينيه السوداوين واضاف وهو يضع العلبة على الطاولة :

«اذا كنت لا تريدين أخذها من يدي ، سأضعها على الطاولة هنا ثم ابتعد . »

وتراجع بضع خطوات . كان الفضول اقوى من ارادة ديللي، اخذت العلبة وفتحتها ، لم تصدق عينيها ، انه قميص الدانتيل الذي اعجبها في بوي . وصرخت من المفاجأة والفرح :

«لكن ، يا راوول ...»

والتفتت نحوه بوجه مشع ولم تستطع ان تقاوم نظرته فخفضت عينيها .

«البسيه هذا المساء .»

كان هذا شبه امر.

«مستحيل . »

«ولماذا ؟ »

بدا صوته مخملياً ناعماً .

«لانني لا استطيع ان اقبله ، خذه وقدمه ... الى شخص آخر . »

ووضعته على المكتب .

فقال لها:

«اذا كنت تفكرين بنويل فهي غير محرومة من الهدايا، وهذا لا يليق بها. انه مصنوع لشخص اكثر رشاقة. »

شكراً للمديح . قالت في سرها . ثم اعلنت بصوت مرتجف لا يخلو من العداء :

«لا اريده . »

«اذاً خذيه لانني اريده ...»

واخذ يلح .

«لا ...لا مجال للنقاش . »

واحست انها وقعت في الفخ ، انها ترغب بالقميص، ولكن لماذا يفرضه عليها ؟

«ديللي .» قالها بصوت دافىء وحنون.

واردف:

« انه ضروري جداً بالنسبة الي ان تقبليه مني ولا استطيع ان ابين السبب .»

www.elromancia.com

«لا ... لا اريده .»

تمتم وهو يدير ظهره : «ارجوك .»

«اقبله، بما انك تصر على هذه النقطة .»

شعر بالراحة والتفت اليها .

«عديني ان تلبسيه هذا المساء .»

«اعدك، ولكني لا افهم لماذا ، هل هذا مهم ؟ »

«ستفهمين فيما بعد.»

ابتسم وبدا كأنه انساني لاول مرة . وخفق قلبها بشدة ولم تعد تعرف كيف تخفي اضطرابها . وكأنه احس بذلك فجلس على الطاولة وعقد يديه خلف رأسه .

«حسبما ارى ، يبدو ان كل شيء مرتب . »

واشار الى مجموعة من المغلفات الكبيرة التي على المكتب .

«هذه القصائد يمكن نشرها بكل تأكيد . تعال واقرأها عندما تريد بما انك لا تريد ان يخرج شيء من هنا من دون رقابة منك.»

«لم يعد هذا ضرورياً ، غيرت رأيي . وهذه ؟ »

سأل وهو يريها الاوراق المنتشرة امامه .

« هذه هي الاوراق التي استبعدتها ، لا اعتقد انها تستحق النشر، على الاقل الآن . »

تفحص بعض الاوراق ثم وضعها مكانها .

«اعتقد انك على حق . »

«لست متأكدة تماماً من بعض الأبيات ، انها غير

مقروءة تقريباً ، وفيها الكثير من التصليحات والتعديلات . »

«هذه مثلاً ؟ »

سألها وهو يأخذ القصيدة التي بدأت بطباعتها لدى وصولها. انحنى على الالة الكاتبة وادار الاسطوانة ليخرج الاسطر الاخيرة.

«لا ليس هذا احسن ما كتبه .»

نظر اليها بتساؤل ودهشة وأطال نظرته حتى احمر وجهها ، ثم نهض ومشى بجانبها حتى كاد يلامسها مما جعلها ترتعش .

طلب منها قبل ان يغلق الباب بهدوء :

«لا تنسي وعدك .»

هذه اللحظات التي مرت بصحبة الرجل الذي احبته سراً غيرتها تماماً . ولم تعد تستطيع العمل فقررت ان تذهب لتناول الطعام على ان تعود بعد الظهر . وقبل ان تخرج رتبت الطاولة ، وعندما سحبت الورقة من الآلة الكاتبة جذب انتباهها سطر . «وجهها البرونزي يبرز من خلال ستائر سميكة من الشعر الاسود .»لم تنتبه اليه من قبل لان انتباهها كان منصباً على فك الحروف والكلمات . انه يعني سالي ، وتساءلت اذا كان راوول قد انتبه الى هذا ، وهل هذا ما جعله يغير رأيه الى هذا الحد ؟ لقد حكم عليها بأنها لا اخلاقية وانها مسؤولة عن موت اخيه .

www.liilas-manciya.com

بأصابع مرتجفة اخذت القميص وخرجت . صعدت الى غرفتها بعد تناول الطعام . تراكم تعبها عليها فنامت طيلة بعد الظهر ، ثم بقيت فترة طويلة في الحمام لتزيل التعب عن جسمها المنهك.غسلت شعرها ومشطته طويلاً ، وهي تفكر بحياتها المهنية الغنية جداً ، وحياتها العاطفية الفقيرة جداً . استفاقت من احلامها وبدأت تعد نفسها للعشاء .

القميص كان اجمل لو صنع على مقاسها ، لكن فتحة الصدر كانت كبيرة . «وما اهمية ذلك ؟» قالت لنفسها، «السيدة دوبريان لا تبصر ، وراوول عنده امرأة اجمل مني بكثير .» لبست تنورة من المخمل الاخضر القاتم ، ولكن لم تكن لديها حلية تليق بالقميص فقررت ان تضع وردة على فتحة الصدر .

تأخرت اكثر من المعتاد عندما نزلت الى الصالون . كانت السيدة دوبريان جالسة على اريكتها المفضلة، راوول مستنداً بكوعه على المدفأة يرتدي بذلة نيلية. توجه اليها بابتسامة رضا واعجاب .

«انك وردة انكليزية جميلة هذا المساء ، اشكرك لانك نفذت وعدك. »

قالها وهو يغمرها بنظراته.

احمرت خجلاً مع انها لم تهتم لفتحة الصدر في غرفتها . اما السيدة دوبريان فانحنت وكأنها تريد ان تحترق الستارة السميكة لعماها .

«عن اي شيء تتحدثان ؟ اريد ان تقصوا عليّ . »

اجاب وهو يضحك :

«ديللي وعدتني ان تلبس قميص الدانتيل الذي وجدته في بوي . انه جميل جداً وكأنه صنع خصيصاً لها ، تبدو جميلة كوردة . »

واضاف بصوت مختلف :«لكن عندما تحمر خجلاً ، كالآن ، فان لوحة الالوان تكتمل بشكل رائع . »

«راوول، كف عن التنكيد على دليلة ، ومن الافضل ان تقدم لها كوب عصير بدل ان تتفحصها كأنها احد موديلاتك . »

واثناء العشاء ، بدأت ديللي تسترخي تدريجياً ، فاستندت على مسند كرسيها ولكنها لم تجرؤ ان تنظر الى راوول خوفاً من ان تفضحها عواطفها .

حاولت السيدة دوبريان ان تثنيها عن الرحيل فور انتهاء العمل ، ولو اضاف راوول صوته الى صوت امه لربما تراجعت عن قرارها ، لكنه لم يبد اي تأثر، وكان على العكس في احسن حالاته المزاجية ، مرحاً، نشيطاً ، فرحاً وقد يكون ذلك بسبب افتتاح معرضه في باريس .

احست عدة مرات بانه يحاول ان يلفت نظرها لكنها تحاشت ان تلتقي عيناها بعينيه . وعلى كل حال فالعشاء كان ممتازاً ، ومضيفتها كانت فرحة .

قالت السيدة بعد ان عادوا الى الصالون :

«راوول . اخبرتني ارنستين ان نويل كانت اليوم في القصر . »

«آه ، نعم .»

«اعتقد ان نويل تركت لك رسالة ، وان ارنستين وضعتها في مرسمك . »

رد بحزم:

«لا، انها تعرف انه يجب عدم ازعاجي اثناء العمل . »

قرعت السيدة دوبريان الجرس المعلق في السقف فحضرت ارنستين .

«رسالة السيدة روسينيول ، لو سمحت ، واحضري لي العلبة التي في غرفتي . »

التفتت ديللي وقد تغير مزاجها .

« هل ستنزعجون ان طلبت منكم السماح لي بالانسحاب ؟ »

اجابت العجوز :

«ارجوك ان تنتظري قليلاً . »

ثم وضعت يديها على ركبتيها وتابعت :

«والآن يا راوول ، ما الذي لدى هذه السيدة لتقوله ولم تقله البارحة مساء ؟ لقد بقيت هنا زمناً طويلاً بعد ذهابنا، ديللي وانا، للنوم . ديللي يا عزيزتي ، الا ترين ان ابني يضحي كثيراً من اجل هذه السيدة؟»

دخول ارنستين انقذ ديللي من الارتباك ، وأخذ

راوول العلبة المخملية الكبيرة من ارنستين مع المغلف البنفسجي ، واعطى العلبة الى امه قبل ان يفتح الرسالة . قرأ الرسالة ثم ابتسم برضى ، ادارت ديللي وجهها ورأته يضع المغلف في جيبه .

«دليلة ، اود ان اعرف اذا كنت تتزينين ببعض الحلى هذه الليلة.»

اجابت متوترة لانها فهمت التالي .

«اضع زهرة . »

«اذاً خذي يا عزيزتي هذه ، انها هدية من والد رايس مورغان . »

وسحبت من العلبة عقداً لؤلؤياً ذا صفوف ثلاثة جميلاً ورائعاً كما رأته ديللي في صورة اوجيني دوبريان .

«من المستحيل ان اقبله . »

ان ديللي تتألم من كونها كذبت على السيدة العجوز التي استقبلتها كأحد افراد الاسرة ، لكنها لن تستمر في الكذبة التي عاشتها ، فهذا ما لا يمكن ان تتحمله.

«خذيه ، لانني اريد ذلك . »

كلمات راوول نفسها ، ولكنها لن تقبل هذه المرة .

«لا ارجوك .»

«راوول ، يبدو ان ديللي صعبة ، خذ العقد وضعه حول عنقها. »

www.elmanara.com

«بكل سرور .»

اخذ العقد ومن خلف مقعد ديللي مرره حول رقبتها وسمعت صوت القفل ، ثم احست بيدي راوول تنزلقان على شعرها ثم على كتفها ، وامتدت اليد الحارة وسحبت الوردة التي كانت على صدرها ، ثم صعدت بتلكؤ . اغلقت عينيها وانتابتها رعشة .

«راوول لماذا انت صامت ؟ كيف حال العقد على صدرها ؟ »

كلام السيدة كان له تأثير المياه الباردة التي انصبت على رأس ديللي فنهضت وهي ترتجف .

«لا ...لا يمكن ان آخذه ، فهو ليس لي . »

«انه لك منذ الآن بما اني قدمته لك ، رايس كان يريد ان يقدمه لك. »

«لا، انه ... »

«كان سيكون لك يوم الزفاف. »

«لكن ...»

«خذيه يا طفلتي ، واعتبريه ذكرى من رايس ، وليس مني . »

«لكن رايس لم يحبني . »

وخرجت كلمات ديللي عفوية . صمتت السيدة العجوز وظهرت تجاعيد وجهها من ردة الفعل . ثم اجابت بصوت هادىء :

«اذاً خذيه باسم حبك له . »

«لم احب رايس ، انا ايضاً ، لم احبه ابداً ، ولم نفكر اطلاقاً بالزواج ، وخطوبتنا كانت شكلية ، لقد عقدناها لنحميه من المعجبات . »

«لكن الكتاب ، القصائد ، بالتأكيد ...»

«الم تفهمي انها لم تكن انا ؟ رايس لم تكن له امرأة واحدة في حياته ، وقد استوحى قصائده من مجموعة من النساء . »

«ومع ذلك فأنت المفضلة ، والاهداء من اجل دليلة...»

«لا ...»

«لا ! »

حاولت ديللي بيأس ان تزيل الالم الذي قرأته على وجه العجوز ، ولكن فات الاوان ، واحست برغبة لا تقاوم في ان تعترف بالحقيقة.

«الاهداء لا يعني شيئاً ، فانا لم اكن حبيبته ، وكانت علاقتنا مهنية بحتة . »

سألت السيدة:

«ديللي، لماذا تقصين عليّ مثل هذه الامور المخيفة؟»

اصبح لون العجوز بلون الشمع وتقلصت تجاعيد وجهها تماماً .

«لانني احاول ان اشرح لك لماذا لا اسمح لنفسي ان اقبل العقد .»

www.liilas-romancia.com

وحاولت ان تفك العقد ، وضعت رأسها بين يديها وتمتمت بانفعال:

«انه سوء تفاهم شنيع . »

«سوء تفاهم ، وتركتني اصدق طيلة هذه الفترة ...»

اختنقت الكلمات في حلق العجوز ، وشعرت ديللي بأنها وقعت في الفخ ، التفتت الى راوول ورأته يستند على الاريكة التي كانت تجلس عليها ، ممتداً كالوحش الجاهز للانقضاض . وجهه متقلص ، عيناه مركزتان على امه ، ولم تأمل ان يمدها بأي مساعدة .

بلعت ريقها بصعوبة والتفتت الى السيدة :

«ظننت انني اسدي معروفاً . »

«معروفاً !»

تقدمت السيدة من طرف الكرسي وكأن الحقد منحها قوة .

«كل هذه التمثيلية معروف ، معروف من اجلي انا ! لم يبق لي غير احسانك، لقد خدعتني ولا اقبل . »

«اردت فقط ...»

«جعلتني اصدق انك كنت خطيبة ابني . »

«الخطوبة كانت حقيقية ولكن فقط لكي احميه . »

«جعلتني اصدق انك حبيبته . »

«لم اقل هذا اطلاقاً . »

«الم تخدعيني ؟ »

«لم افكر في حياتي ان اجرح احداً . »

«استغللت ثقتي ، ليس عندي ما اضيفه . »

توجهت ديللي بخطى غير ثابتة نحو الباب ، وراقب راوول خروجها من دون ان يدلي اية كلمة.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

أوقفها راوول في آخر السلم .
صرخ بصوت يشبه التوسل : «ديللي ...»
التفتت اليه وبدت كأنها قد اخرجت كل مخالبها كحيوان جريح.
«انت ، كل هذا بسببك .»
كانت تعرف ان هذا كذب ، ولكنها كالمجنونة من شدة الانفعال ، وبحاجة الى ان تصب جام غضبها على احد .
«اصحيح ، هل انت متأكدة ؟»
«نعم صحيح . لو انك لم تحرجني لأرتدي هذا القميص ...»
«انه رائع عليك ، ولكن هذا لا علاقة له بما حدث .»
«لا ، ولكن لو لم تلامسني مثل ...»
توقفت وقد احمرت خجلاً من اعترافها .
«لكنك مع ذلك رفضت العقد .»
راحت ترتقي السلم ولكنه اعترض طريقها بيده.
«لا تسيئي الى نفسك .»
«انت الذي اساء الى براءتي ، اجبرتني ان اعدك هذا الوعد السخيف بأن ارتدي القميص ، وبدون سبب واضح ، واذا ...»

قاطعها بلهجة هادئة :
«ليست لديك اي فكرة عن اسبابي .»
نظرت اليه نظرة مليئة بالحقد ، ومن دون ان تضيف كلمة خرجت واغلقت الباب بعنف .
وفي غرفتها تخلصت من ذلك العقد وكذلك من القميص .
لماذا الح راوول على ارتدائه ؟ واحست بانها لو لم ترتعش في حضوره ، لوجدت طريقة اقل مأساوية لرفض العقد ، او لربما تظاهرت بقبوله ولا تأخذه معها لدى مغادرتها القصر .
وبعينين ساهمتين ومن دون تفكير سحبت الحقائب من الخزانة . لم يعد لديها اي شيء هنا ، والكلام الذي يصعب اصلاحه سبق وان قالته . انقبض صدرها لأنها وبشكل لا ارادي سببت للعجوز التي تحترمها والتي بدأت تحبها الآلام ، وان وجودها في القصر سيذكر السيدة دوبريان بالابن الذي عليها ان تنساه.
والاكثر من كل ذلك كانت بحاجة لأن تهرب من راوول ، انها لم تعد تقوى على النظر اليه وجهاً لوجه، وهي تتذكر افعاله ، لماذا بقيت مشلولة عندما سحب الوردة، وتمهلت يده على عنقها ؟
وبالنسبة الى راوول ، كان قد حذرها منذ البداية انه لن يسامحها اذا ما تسببت في أية آلام لأمه . رحيلها

www.elromancia.com

سيخفف عنه، وان عبورها في حياته الخصبة لن يشكل الا حادثاً طارئاً لا سيما مع فرحة افتتاح معرضه في باريس .

كان قلبها مفعماً بالحسرة لانها ستخلف وراءها ثمار اسابيع كاملة من العمل الدؤوب المضني ، وقد يستطيع عمها ان يحصل عليها بعد ذلك ، لأنها كانت قد اعدت كل المغلفات الرئيسية بالترتيب ، اذا وافق راوول على ارسالها بالبريد مثلاً .

عليها الآن ان تنظم هربها بعناية وسرعة . أعدت فستاناً ازرق بسيطاً يناسب السفر ثم دست باقي الملابس في الحقائب واضعة نصب عينيها الا تحمل الا أصغرها ، وبعد ذلك ستتحمل ارنستين ارسال الباقي بدون شك .

استلقت على السرير وتأملت السقف ، لا تريد ان تنام خوفاً من ان لا تستيقظ في الوقت اللازم . كان عليها ان تنتظر حتى ينام سكان القصر لكي تنقل حقيبتها الى السيارة .

وبتأن رتبت مخطط الغد ، ستأخذ الرينو ، عليها ان تجد عذراً لتستعيرها ، وتتركها في محطة سان جوست .

في الثالثة صباحاً تسللت من غرفتها ونزلت السلم في الظلام بحذر وامتعتها بيدها ، وفي الصالة مشت بسهولة لانها كانت مضاءة بأشعة القمر .

امسكت انفاسها وهي تفتح باب الدخول ، واجتازت الباحة بصمت ووصلت الى المرآب بعد ان مرت امام مرسم راوول .

لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً ، وفي الداخل اصطدمت بكتلة معدنية باردة فتحسستها بيدها لكي تحدد شكلها وعرفت انها سيارة راوول . تقدمت بحذر في الاتجاه الآخر حتى لمست سيارة الرينو وفرحت عندما وجدتها غير مقفلة . وضعت امتعتها على المقعد الخلفي وغطتها بالغطاء الذي وجدته على المقعد يوم وصولها ، ولم تغلق الباب تماماً خوفاً من احداث ضجة ، ولم يبقى امامها الا ان تعود الى غرفتها وتنتظر طلوع النهار . واثناء خروجها اصطدمت بشيء معدني احدث صوتاً في الصمت الليلي كالجرس ، فهرعت الى منطقة مظلمة وقلبها يخفق بشدة من الخوف .

سمعت صوت باب المرسم ينفتح على مصراعيه وظهر خيال راوول ...نظرت اليه ، كان يمسك ريشة طويلة ويضع يده الاخرى في جيب بنطلونه ، الصورة نفسها التي احبتها والتي لن تراها بعد الآن . واكثر ما كانت تخافه ان يكتشف وجودها لأنها بالتأكيد ازعجته في اللحظة التي يضع فيها اللمسات الاخيرة لصورة نويل ، ولا تعرف العواقب .

عاد راوول الى مرسمه عندما لم يلاحظ شيئاً غير

www.elromancia.com

طبيعي ، واغلق الباب. كانت بحاجة الى عدة دقائق كي يتأقلم نظرها مع الظلام ، ولكي تستجمع شجاعتها لاجتياز الباحة .

اغتسلت ولبست قبل طلوع النهار ، وجلست على حافة السرير تفكر بالحجة التي ستتخذها لتستعير السيارة ، وفجأة تذكرت حديثها مع السيدة دوبريان، بشأن شيزديو ، نزهة تستغرق يوماً ، ولن يلحظ احد اختفاءها قبل العشاء . وفي هذه الفترة تكون تقريباً قد وصلت الى باريس .

كان عليها ان تبلغ المحطة بأسرع ما يمكن لأنها لا تعرف في اية ساعة يمر قطار الجنوب من سان جوست .

ستتناول افطارها وستتحدث عن رحلتها ، ثم تأخذ المفاتيح من غاسبار ، لترحل وبصورة نهائية .

لا يزال راوول نائماً لانه عمل الى فترة متأخرة من الليل ، وكذلك السيدة دوبريان لا تستيقظ الا في ساعة متأخرة . ولكن هل كان عليها ان تترك كلمة عن مكان وجود السيارة ؟

ليس هذا ضرورياً لان سان جوست قرية صغيرة وسوف يلاحظون وجود الرينو امام المحطة ويعلمون اصحاب القصر ، بالاضافة الى ان هيلويس يمكن ان تكتشف الكلمة اثناء تنظيفها للمنزل ، وسيصل راوول او والدته قبل ان تصعد الى القطار .

نظرت ارنستين بدهشة وبشيء من الشك عندما رأت ديللي تنزل باكراً ... من المؤكد انها على علم بأحداث البارحة .

«هل نمت بشكل جيد؟ »

«نعم . اشكرك يا ارنستين لهذا الاهتمام . »

وبدأت ديللي تحكي عن مشروع رحلتها الى شيزديو.

«السيد راوول لن يرضى بذلك . »

«السيد راوول ليس حارسي ، واقدر ان اجد طريقي بدون مساعدة . »

كررت ارنستين بعناد :

«السيد راوول لن يرضى بذلك . »

«سأتدبر الامر معه لدى عودتي . وسأتناول طعام الافطار اذا سمحت . »

«لكن السيد راوول ...»

قاطعتها ديللي بحدة :

«السيدة دوبريان سمحت لي باستعارة السيارة عند الحاجة. »

«لكن بعدما حدث البارحة مساء...»

«ماذا تريدين ان تقولي يا ارنستين ؟ »

«السيد راوول سيغضب . »

تناولت ديللي افطارها بحضور ارنستين .

«هل ترغب الآنسة ان اعد لها بعض المأكولات، فالطريق طويلة؟»

www.elromancia.com

«لا شكراً ، سأتناول طعامي في احد المطاعم ويسرني ان اتذوق الطعام الخاص بالمنطقة. »

«كما تريدين يا آنسة . ولكن ماري آنج جهزت بعض اللحومات الباردة.»

«انه لطف منك ، ولكني لست بحاجة الا لمفاتيح السيارة ، والخريطة ، اين يمكنني ان اجد غاسبار؟ »

«سأرسله اليك يا آنسة ، انه ما زال يتناول طعامه في المطبخ . »

اصغت بانتباه لشرح غاسبار على الخريطة ، وهذا جزء من المؤامرة .

«كوني حذرة اثناء القيادة يا آنسة ، فالطقس على وشك ان يكون ماطراً وهذا يعني فيضانات حقيقية وارضاً قابلة للتزحلق . »

«وهو كذلك ، لا تخف يا غاسبار . »

«السيارة قديمة ، واصلحناها مؤخراً ، آمل ان تسير بشكل جيد.»

«كن مطمئناً ولا تقلق . »

فرحت جداً عندما عرض عليها غاسبار ان يحضر لها السيارة من المرآب لانها بذلك تتجنب المرور امام مرسم راوول . نظرت ديللي للمرة الاخيرة الى القصر قبل ان تنطلق ، غيوم كثيفة تحجب الشمس وتعطي مونبيردو مظهراً حزيناً ، والمطر ينذر بالهطول ولكنها ستكون قد اخذت مكانها في القطار ، وفي

اسوأ الاحتمالات تحتمي في صالة الانتظار في محطة سان جوست .

الطريق المتعرج ايقظ ذكرياتها، يدا راوول المتقلصتان على المقود، راوول الذي يقود بسرعة جنونية وكاد ان يقتلها ، راوول مرتاح ومبتسم في زيارة بوي ، راوول المخيف بعد العشاء عند نويل. بذلت مجهوداً كبيراً لتطرده من تفكيرها وتركز اهتمامها على القيادة ، وبعد قليل بدأت الارض المرصوفة بالصعود والتعرج وكذلك بدأت السيارة تعاند والمحرك يسخن وبعد عدة قفزات توقف تماماً عن الدوران . شدت الفرام بيدها وحاولت ان تعيد تشغيل المحرك .

ولكن اذا ما رآها اي شخص سيخبر القصر فوراً . وقد يمر راوول من هنا . وقررت ان تتركها تنزلق في الطريق الخلفي. محاولة صعبة وخطرة على طريق متعرجة وترابية . شدت اخيراً فرام اليد وتركت المفاتيح في السيارة ، ليس هناك خطورة طالما ان السيارة معطلة . فتحت الباب الخلفي ورفعت الغطاء الذي يخفي حقيبتها.

ما العمل ؟ انها اصغر حقائبها ولكنها ثقيلة مع ذلك. اثقل من ان تحملها حتى سان جوست . وقررت ان تتركها وسيرسلونها مع بقية المتاع . سحبت كنزة سميكة وتذكرت انها نسيت الحمراء التي

Roberromantica.com

تنشف بسرعة في مرسم راوول. ووضعت في حقيبة يدها ادوات الزينة والالبسة الداخلية وجواز السفر والنقود.

صعدت الطريق الترابية وهي تتأسف لانها انتعلت الحذاء ذا الكعب العالي ، ثم سارت باتجاه سان جوست. استراحت قليلاً ولكنها فكرت بأنها لن تصل المحطة قبل الظهيرة اذا كانت ستتابع على هذا المنوال .

ثارت عندما احست بضعفها مع انها احكمت خطتها جيداً ، ولماذا يقف القدر ضدها الى هذا الحد ؟ لمحت ممراً شائكاً في العمق ولكنه بالتأكيد يختصر المسافة عدة كيلو مترات ، خلعت حذاءها دون تردد وسارت بخطوات منتظمة الى ان وصلت الى مكان استطاعت فيه ان تميز جدران سان جوست ، ولكن كان عليها ان تهبط منخفضاً آخر يوصل الى هضبة فتابعت طريقها بشجاعة ولكنها فوجئت ببحيرة صغيرة قطعت عليها الطريق ، فوقفت تتفحص الاتجاه الذي عليها ان تأخذه .

انها بالتأكيد بحيرة الرجل الضائع . كان المكان رائعاً ، بعيداً عن الطريق وغير مشوه بالمدينة ، لا ترى بيتاً ولا كوخاً ، حتى القرية كانت تختفي خلف القمة . اقتربت من الشط لعلها تلمح آثار المدينة الغائرة ، لكن سطح المياه الاملس لم يعكس لها الا

صورة الغيوم اللبدة في السماء . الهواء البارد بدأ يعصف والمطر ينذر بسيوله وعليها ان تسرع لتهرب من كل ذلك ولتلحق بالقطار .

فجأة غاصت قدمها في شق صخري ، وحاولت سحبها بشتى الطرق ، لكن دون نتيجة . استندت على صخرة وشدت رجلها بقوة سمعت بعدها طقطقة واطلقت صرخة من شدة الألم . لقد اصبحت قدمها حبيسة الصخرة واقل حركة كانت تثير في ساقها المما لا يحتمل .

حبست دموع اليأس في مآقيها ، ولا أمل لديها الآن الا اذا حركت الصخرة . حاولت ان تحيطها بيديها وتدفعها بكل قواها لكن دون فائدة ، ولا امل لديها بأي مساعدة لأن الزوار لا يمكن ان يقصدوا البحيرة في مثل هذا الطقس .

ارعدت السماء وابرقت وهطلت الامطار كالسيول، تمددت ديللي بنصفها على الارض وبعد مجهود استطاعت ان تمسك حقيبة يدها وتخرج منها الكنزة لكي تتقي بها المطر ولو موقتاً ، وحاولت ان تجمع الحاجيات التي سقطت منها وتبعثرت على الارض، تذكرت قبعة بلاستيكية في حقيبتها فلبستها وكانت هذه حمايتها الوحيدة من كثافة الامطار .

الفصل الحادي عشر

كان الضباب ينسحب فوق البحيرة متخذاً اشكالاً خيالية . تساءلت ديللي اذا لم تكن مخيلتها هي التي تلعب عليها هذا الدور . موكب من الكائنات الغريبة سكنت هذا الليل اللامتناهي ، وقد لا يكون هذا الضباب المتحرك الا من صنع خيالها .

كانت تتجمد كلما عصفت الريح وهزت كيانها ، لكن الآم جسمها لا تزال تذكرها بأنها آدمية من لحم ودم . ولتتجنب ان تغرق في حالة جنونية ، ركزت انتباهها على اشياء صغيرة حقيقية . مثل العشب الذي تتلألأ عليه قطرات الندى ، حجر غريب الشكل وحشرة في شق صخرة ، وبعد قليل انهكها هذا الجهد فأغمضت عينيها . منذ متى وهي على حافة البحيرة ؟ منذ يومين ؟ ثلاثة؟ دهر ؟ في البداية تراقص البرق واشتدت العواصف وسقطت الامطار كالشلالات وكأن الفتاة صاحبة الاسطورة عادت لتكسر كل شيء .

وبعد بضع ساعات هدأت العواصف وتبعها سقوط مطر جليدي حتى الغسق . تذكرت ديللي انها صحت عدة مرات في الليل الحالك ، وفي اليوم الثاني بزغت شمس شاحبة خلعت ديللي كنزتها لتعرض فستانها

المبلل وجسمها لاشعة الشمس ، ثم عادت الغيوم لتغطي السماء ، واعقبها مطر اضطرها ان تعيد كنزتها الى كتفيها وهي لا تزال رطبة .

ولم يتأخر الجوع في زيادة تعذيبها ، لقد رفضت ان تحضر لها ارنستين بعض الاطعمة . ولحسن الحظ استطاعت ان تروي ظمأها من المياه المتجمدة في حفرة الصخرة . وفي وقت لاحق اثناء النهار عادت تمطر رذاذاً ، ولكنه كان يخترق كيانها حتى العظم . سيما بعد ان طارت قبعتها مع الرياح .

وبعد ذلك فقدت احساسها بالزمن ، فأحياناً تدخل في حالة غيبوبة واحياناً وبشكل لا ارادي تصحو على اثر الألم الذي ينتابها ويصعب التغلب عليه .

وفي اليوم الثاني او قد يكون الثالث ، تشكل لديها هوس جديد الا وهو هوس طبيعي سمعي بالاضافة الى الهوس البصري . لقد بدأت تسمع اصواتاً يرتد صداها بعد ارتطامها بالصخور المحيطة بالبحيرة، وفي لحظة ارتسم امامها خيال راوول عن بعد ، ثم بدأ يقترب منها . وبدأ يكبر ويكبر حتى حجب الافق، ووقعت مغمى عليها ، سعيدة من انها هربت من طيف راوول .

«ديللي . »

رنت الكلمة في رأسها وايقظت رغبتها في التحرر. ان السراب هذه المرة يمتلك صوتاً ويدين حملتها

www.elibrary-iq.com

واصابع لامست وجهها ، ومن اعماق يأسها تمنت ان يكون هذا الوهم حقيقياً .

ثم سمعت صوتاً آخر وشاهدت اجساماً اخرى ، احدها ادخل قضيباً حديدياً تحت الصخرة ، حركها بعيداً عنها.

شعرت بألم فظيع في قدمها ثم وصل الى الرسغ وأخيراً صعد الى الساق . بدت امامها صورة راوول ثانية ، انه غاضب ولكن ليس منها وانما من شخص آخر ، كان يشتمه ، ثم سمعت صراخاً ، وفجأة توقف الألم .

هوسها اخذ منحى آخر ، لم تعد سجينة ، شخص اخذها بين ذراعيه وهدهدها كالطفل ، واحست بأن قواها تغور واغمي عليها.

عندما عادت الى وعيها وجدت نفسها في سيارة ، لم تكن سيارة راوول وانما هناك شخص آخر يقودها ، ولكنها احست بأن راوول هو الشخص الذي يجلس الى جانبها .

توقفت السيارة ، وعندما اخرجوها ، عبر برج القصر مجال رؤيتها ثم مريول ارنستين الابيض ، وسمعت صوتاً آخر ، ثم رأت السلم . فتح باب واخيراً تعرفت على غرفتها .

وفي حالة نصف واعية رأت ارنستين تمد الشراشف على السرير، ثم ذهبت . شخص ما حملها بتؤدة الى

السرير ، امسكت بيده خائفة من ان تبقى وحدها . «دليلة .»

انه صوت راوول ، قلق وحنون ومنفعل . ارادت ان تصرخ من يأسها ، لكنها فقدت مقدرتها على الصراخ.

واخيراً وجدت نفسها في سرير ناعم وغرق رأسها بين الوسائد .

وبدون ان تميز اذا كانت في حالة حلم ام يقظة ، لمحت راوول . انه بقربها ، يمسد شعرها بيد ناعمة، ويقول كلاماً لا تسمعه . فاضت دموعها بغزارة.

ارادت ان ترفع رأسها ثانية ، وتلاشت حواسها ودخلت في حالة غيبوبة .

www.elromancia.com

الفصل الثاني عشر

الجدران تتقارب ، تغير اشكالها ، ثم تتلاشى بعيداً .
وأخيراً يعم الظلام ، وبعد وقت طويل نقطة ضوء ثم اثنتان ثم عدد لا يحصى من الاسهم النارية ملأت المساحات وبهرت العيون .
وفي لحظات اخرى ارتسمت وجوه على السقف ، وجه ارنستين القلق من شيء ما كالمعتاد ، وجه السيدة دوبريان الشاحب كالموت . وجه رجل قد يكون عمها ولكنه ليس هو ، انه على الاغلب وجه راوول ، حاد او مخيف او وقح او مبتسم او حزين .
وأخيراً لم يعد يسيطر الا الليل ، عميقاً ، اصم ، وازلياً .
وعندما استيقظت ديللي كانت الغرفة تسبح في اشعة الشمس .
قال صوت لطيف جداً :
«آنستي ؟ »
ادارت رأسها الذي يقرع كالطبل وتعرفت الى ارنستين . ارادت ان تكلمها ، لكن عضلات وجهها كانت شبه متراخية ، فرفعت ارنستين لها رأسها وقربت كأساً من شفتيها الناشفتين . شربت بضع نقاط من الماء وأحست بالتحسن واستطاعت ان تبتسم ، لكن

الجهد كان كبيراً فأغمضت عينيها ونامت مجدداً .
حلمت ان راوول يلمس وجهها بنعومة ، ورغبت ان تلمسه لكن اعضاءها رفضت الاستجابة .
واحست بحرارة انفاسه على وجهها . ثم تلاشى الحلم . وعندما فتحت عينيها شاهدت ارنستين تمسح عرقها بمنشفة رطبة ومعطرة ، ثم اعطتها بضع ملاعق من الشراب الساخن .
«الآنسة افضل اليوم كما ارى . »
بما ان ارنستين ترى ذلك فقد يكون صحيحاً ، مع انها تشعر بارهاق شديد .
«اريد ايضاً قليلاً من الحساء .»
«لا يا آنستي ، في هذا بعض الخطر ، الحرارة لم تهبط الا البارحة ، لقد كنت مريضة جداً ، وكدت ان تموتي من البرد .»
سألت وهي تتلفظ بصعوبة : «كم من الوقت ...»
«الآنسة كانت تهذي خلال اربعة ايام ، والسيدة كانت قلقة جداً . ولكن الطبيب اكد لها البارحة بأن الوضع لم يعد خطراً . »
«وراوول ؟»
«السيد راوول هو الذي وجدك بعد بحث يومين ، الكل بحث عنك في شيزديو . يجب الا تتعبي نفسك الآن ولا تفكري بشيء ، نامي وعندما تصحين سأعطيك حساء . »

www.elromancia.com

كانت ديللي قد نامت قبل ان تنهي ارنستين كلامها، ثم استفاقت بعد عدة ساعات من نوم عميق لم تزعجه الكوابيس. وكانت ارنستين تجلس بقربها امام السرير.

«ارنستين عليك ان تكوني قرب السيدة دوبريان . »

«لا يا آنسة ، السيدة امرتني ان اظل بقربك حتى تتماثلي للشفاء .»

«ومن يعتني بها ؟ »

«لا تقلقي ، هيلويس لطيفة جداً وتتدبر الأمر، وبما ان مرحلة الخطورة قد انتهت فسأعود الى جانب السيدة هذا المساء ، والآن عليك ان تأكلي بشكل جيد كي تستردي قواك . »

وبعد قليل جاءتها ماري آنج بطبق من الحساء وآخر من الفاكهة الطازجة ، ويبدو انها كانت قلقة بشأن صحتها مثل ارنستين .

بذلت مجهوداً كبيراً لتأكل وقالت في نفسها «الكل اهتم بي حتى السيدة دوبريان بعد كل ما حصل ، الا الشخص الوحيد الذي كنت بحاجة لرؤيته . أين هو الآن ؟ هل هو هنا ؟ ام في باريس ؟

كان يلزمها يومان لكي تستعيد شيئاً من الحيوية، ولكي تبقى صاحية لمدة ساعتين متتابعتين . ارنستين تعتني بها بشكل دائم، كذلك هيلويس كما تعرفت الى الطبيب شارل طبيب سان جوست الذي

اعتنى بها وعاملها على انها انسانة ودودة وقريبة من القلب .

اتت السيدة العجوز لزيارتها ، وكانت متعبة وبقيت معها فترة قصيرة . راوول ما زال غائباً ، هل اتى لرؤيتها وهي في حالة الهذيان ام انها تخيلت ذلك؟ ومن المؤكد انه سافر الى باريس بعد ان وجدها، وبعد الوقت الذي اضاعه في البحث عنها اثناء افتتاح معرضه .

في اليوم التالي نهضت من السرير ولكن ساقيها لم تقويا على حملها لفترة طويلة . فعادت مسرعة الى السرير ، وبعد يومين احست بالتحسن ، ثم عاد الطبيب لزيارتها واطمأن من نتائج الفحص .

«انك قوية ، وهذا من حسن الحظ ، يا حبذا لو كانت السيدة دوبريان كذلك . »

قالت وهي تتألم من ان تكون هي المسؤولة :

«يبدو لي انها مريضة جداً . »

تمتم :«انه مرض نفسي . هذا التشخيص ينطبق عليك كذلك.»

اكدت بصوت مليء بالثقة :

«اشعر بانني شفيت تماماً . نزلت البارحة الى العشاء وامضيت الصباح وانا اتنزه في الشمس . »

اكد لها الطبيب : «انت لم تستعيدي صحتك تماماً . اعتقد ان في داخلك شيئاً .»

قالت كاذبة وهي ترغم نفسها على الابتسام :
«لا .كنت اتمنى فقط ان التقي عمي وعمتي . فأنا لم ارهما منذ فترة طويلة . »
«ستتحقق امنيتك قريباً واعتقد انك خلال يومين او ثلاثة يمكنك ان تتحملي اعباء السفر . وسأشرح هذا للسيدة دوبريان ، لكن عليك ان تمنعي نفسك من الانفعال الداخلي فهناك بعض الامراض يعجز عن معالجتها امهر الاطباء .»
الطبيب محق في ذلك ، لقد حاولت ان تطرد الشبح الذي يأكل قلبها ، ولكنها لم تستطع ان تطرد منه راوول . انه يشغل قلبها وعقلها كلياً . كانت ديللي متأكدة من انه في باريس ، ولكنها لم تجرؤ على طرح السؤال خوفاً من كشف عواطفها .
منع الطبيب السيدة من مغادرة غرفتها فذهبت ديللي لزيارتها ، وقد صدمت لرؤيتها على ما كانت عليه من ارهاق ، وانقبض قلبها لما سببته لها من آلام .
وقال لها:«آمل الا تتحاملي علي لانني تسببت في ازعاجك .»
ابتسمت السيدة دوبريان ، وكانت تجلس على اريكة كبيرة وتغطي رجليها .
«كنت سأحزن لو لم تأتي لرؤيتي . اخبرتني ارنستين بأنك افضل بكثير الآن . »
«هذا صحيح . »

تبع ذلك صمت محير ، استعادت ديللي شجاعتها لتكسر هذا الصمت المطبق .
«لا اعرف كيف اعبر لك عن افكاري ، لكني اود ان اقول بانني لم اقصد ابداً ان اسبب لك اي ألم ولا لأي شخص في هذا العالم ، ولقد شعرت في الايام الاخيرة بأنني اعيش ضمن اسرتي كما انني كنت فخورة من ان تكوني لي اماً أو حماة ، ولا يمكن ان احتمل فكرة تعذيبك . »
تنهدت العجوز بحرقة :
«وهل فعلت هذا ؟ لا اعتقد . ان ما شرحته لي فيما يتعلق برايس ، حاولت ان انساه قدر الامكان . ولكني لن انسى ابداً انك كنت ستموتين بسببي . »
ردت بسرعة:«هذا ليس صحيحاً ، هناك شيء آخر دفعني للرحيل.»
ثم سكتت خوفاً من ان تكشف حبها لراوول .
ظلت العجوز صامته لفترة طويلة وكأنها تفكر بما قالته ديللي ثم تمتمت وكأنها تكلم نفسها اكثر مما تكلم شخصاً آخر :« لا شيء آخر؟ لكن ...»
ثم صمتت .
حاولت ديللي ان تستعيد الحديث .
«الطبيب سمح لي بالسفر خلال يومين ، آمل ان توافقي على ذلك . »
«لا ، لست موافقة ، وكذلك ابني لن يكون موافقاً ، لقد

www.elromancia.com

كان قلقاً جداً عندما سافر . ولولا ان الطبيب اكد له بأن لا خطر عليك ...»

لم تجرؤ ديللي على الحركة وامسكت انفاسها متمنية وخائفة في الوقت نفسه من ان تسمع المزيد .

«... لكن راوول تأخرعدة ايام ، والمسؤول عن صالة العرض لا يعرف السبب . الافتتاح لا يمكن ان يؤجل، اتفهمين قصدي؟ »

اجابت بصوت ضعيف : «لم انتظر ان يفعل ذلك . »

اذاً ، لقد بقي في مونبيردو بعد انقاذها .

«سيعود خلال الاسبوع .»

ويبدو ان السيدة كانت تترصد رد فعل ديللي .

«انا متأكدة من ان المعرض سيكون ناجحاً . »

هذا كل ما استطاعت ان تقوله ، اضافت وهي تحاول ان تتحكم في نفسها :«يسعدني ان اقرأ شيئاً من رأي النقاد . »

« من الافضل ان تنتظري قليلاً ، ان راوول قلق جداً بشأن صحتك، وهو يتصل هاتفياً كل يوم ... مرتين او ثلاثة ، مع العلم انه يكره الهاتف جداً . »

مسحت ديللي دموعها ، انه يتصل كل يوم ليطمئن على صحة والدته ، فهو لم يطلب ان يكلمها . وبعد ان تذكرت قلقه قالت لنفسها : سيكون قلقاً ايضاً اذا ما حدث اي حادث مشابه لأرنستين او ماري آنج آو غاسبار .

«يمكنك ان تخبريه بانني شفيت . »

«لماذا لا تؤكدين له ذلك بنفسك ؟ »

«عندي موعد مع عمتي في باريس ، وهكذا لن اكون وحيدة طيلة الرحلة . »

فكرت السيدة لحظة ثم شدت على وجهها .

وقالت:

«مع الأسف ، اطلب منك فقط ان تزوريني قبل رحيلك.»

غادرت ديللي غرفة السيدة دوبريان بعد السهرة بقلب حزين لأنها لن تراها بعد الآن . ولكنها احست بالارتياح من تحسن صحتها ، لقد كانت هادئة وكأنها في حالة سلام داخلي مع نفسها . ربما لم تعد تعتبر نفسها المسؤولة عن الحادث المأساوي الذي كان سيكلف ديللي حياتها .

ديللي الآن جاهزة للرحيل ولحسن الحظ ان غاسبار وارنستين اهتما بكل شيء لانها لم تكن قد استعادت قوتها تماماً . وبذلت جهداً لكي تغادر المقعد الذي اعتادت ان تجلس عليه ، والقت نظرة اخيرة على المكتب والخزانة والحمام ، لتطمئن الى انها لم تنس شيئاً . لقد حزمت كل امتعتها ما عدا قميص الدانتيل، الذي تركته معلقاً في الخزانة ، والكنزة الحمراء التي نسيتها في مرسم راوول .

ودعت ديللي ارنستين وماري آنج ، وتأثرت عندما رأت ارنستين تمسح دموعها خفية بطرف مريولها .

www.elromancia.com

قررت ان تنتظر غاسبار في الخارج بما ان الطقس جميل .

نزلت على مهل وهي تلامس بأصابعها درابزين السلم ، ومن واجهة الصالون الزجاجية راحت تتأمل للمرة الاخيرة ورود الباحة الداخلية مما احيا ذكرياتها وآلامها . ثم فتحت الباب وخرجت الى الشمس لكن غاسبار تأخر .

لمحت باب مرسم راوول مفتوحاً ، لا بد ان هيلويس وارنستين استغلتا فرصة غياب راوول لتنظيفه ، وهذا اعطاها فرصة لاستعادة كنزتها .

دخلت الغرفة ولم تجد اثراً لاحد .

معظم اللوحات التي كانت معلقة على الجدارن، اختفت ولم يبق الا بعضها ، وعلى حاملة اللوحة رأت واحدة كبيرة ، ولكن من الخلف . لا بد انها لوحة نويل ، ولمحت على الطاولة الكنزة الحمراء فاقتربت ومدت يدها لتأخذها .

«ديللي .»

قفزت وكأن تياراً كهربائياً مسها . والتفتت لترى راوول واقفاً امام الباب والابتسامة تعلو شفتيه. خفق قلب ديللي وتلعثمت . دخل واغلق الباب ولم يقترب وانما نظر اليها متأملاً بعينين تلمعان كالذهب .

تمتمت بخجل متحاشية نظراته :

«جئت استعيد الكنزة . »

اقترب منها بهدوء .

فقالت:«ظننتك في باريس .»

«كنت ، وعدت منذ بضع دقائق فقط . »

تابع تقدمه ثم توقف على بعد خطوات منها. رفع يده وكأنه يريد ان يلمسها ثم انزلها وتنهد من اعماقه .

«ظننت انني سأراك في القصر . »

«نزلت لانني سأرحل خلال ساعة . »

«هل انت متأكدة ؟ لا اعتقد انك تستطيعين السفر . »

«الطبيب سمح لي بذلك . »

«اذاً ، هكذا سترحلين ، وبدون وداع ؟ »

«طلبت السماح من والدتك . »

«اخبرتني بذلك البارحة . »

«ظننت ان رحيلي لن يؤثر عليك ، فأنت لم تكلمني على الهاتف.»

«من المستحيل ان اقول لك الى اللقاء بهذه الطريقة.»

«اذاً سأودعك واقدم شكري . »

«شكرك ؟»

«لن انسى انك انقذت حياتي . »

«يمكنك ان تشكري نويل لانها لو لم تكن ...»

لم يكمل الجملة التي قالها بسخرية . وبلعت ديللي ريقها بصعوبة لأنها لا تريد ان يكون لنويل فضل عليها .

«لا بد انك قمت بالشكر نيابة عني . »

«هذا ما فعلته . »

«لقد تسببت في تأخير سفرك الى باريس وارجو ان تقبل أسفي.»

«لتذهب باريس الى الجحيم . »

حاولت ان تحتفظ بهدوئها وسألته بلهجة حيادية :

«كيف كان رد فعل النقاد ؟ »

«ليست لدي اي فكرة بهذا الشأن ، الافتتاح هذا المساء . »

«اذاً ستكون ..»

قال وهو يهز كتفيه :

«نعم سأكون غائباً ، لا احب يوم الافتتاح . »

«هذا ما يفسر عودتك اذاً ؟»

«ديللي . انت تعرفين تماماً سبب عودتي . »

قال بصوت جاد وحار لم تسمعه من قبل ، احست بقلبها يخفق بجنون ، اخذها من ذراعها وجرها نحو حامل اللوحة .

حاولت ان تقاوم لانها لا تريد ان ترى رسم نويل .

قال بصوت لطيف :

«ربما هذا يساعدك على الفهم . »

فتحت عينيها متوقعة ان ترى نظرة نويل المتعجرفة ولكن اللوحة لم تكن الا مرآة لها . انها امام صورتها الاصلية .

الوجه محاط بشعر اشقر يميل الى الاحمرار ، اذنان صغيرتان مرسومتان بشكل جميل ، العينان نفسهما التي وصفها لامه ، رماديتان شاحبتان على مساحة كبيرة . الفم كبير بلون احمر شاحب يفتر بشكل خفيف عن ابتسامة تخفي اسناناً عاجية جميلة ، الذقن دقيقة موفوعة .

ديللي، اللوحة تلبس قميص الدنتيل ، بفتحة صدر كبيرة تكشف عن رقبة جميلة تثير الاحاسيس الغافية .

تمتم راوول بصوت مخملي :

«مزيج رائع من البراءة .»

التفتت اليه بعينين مندهشتين .

«انت تحبني ، والا لما رسمت هذه ؟ »

لم يكن سؤالاً ولكنه كان اكتشافاً .

«اعتقد ان قلبي احبك منذ البداية ، لكن كان علي ان ارسم وجهك لاكتشفك . »

«لكن لم تقل لي ذلك ابداً . »

كانت ديللي تضغط بيديها على صدرها لكي تخفي من ضربات قلبها المجنون .

«مع انك كنت ترسم نويل . »

«هذا صحيح . »

وقف بجانبها ولم يقترب ، ونظر اليها بحنان وكأنه يلامسها بعينيه .

www.elromancia.com

«عند رسمها اكتشفت حقيقتها ، وتوصلت الى اكتشاف كل ما كانت تخفيه لفترة طويلة . ولم اكمل اللوحة . »

«وبالتأكيد لم تكن مسرورة . »

«لا يهمني امرها، انها لم تكن مسرورة من مجموعة اقوال اسمعتها اياها . هل يمكن لشخص ما ان يصمت طيلة هذه الفترة ، اثناء اختفائك ، وهو يعرف ان سيارتك تقف بجانب ...»

قطع كلماته وكأن الكلمات رفضت ان تخرج من حنجرة مليئة بالانفعال .

«لكني حسمت كل شيء في الليلة التي تناولت فيها العشاء معنا . »

«والرسالة التي ارسلتها ...»

«كانت المحاولة الاخيرة . »

«لكن عندما اصطحبتني للعشاء عندها بدت لي ... »

«كانت تغار من جمالك ... واحست قبلي باننني احبك فلعبت هذا الدور لكي توهمك بأنني مغرم بها. »

لا تريد ديللي ان تفكر بهذه المرأة التي تغار منها بجنون .

«نويل لم تستحوذ على قلبي اطلاقاً ، ولا انكر وجود علاقة ما . وبعد كل شيء فأنا رجل ...»

قالت بابتسامة خبيثة :

«لقد صدق احساسي . »

واخيراً كانت ديللي هي التي اقتربت من راوول.

«راوول .»

ولكنه لم يدعها تكمل ، بل ضمها بين ذراعيها بحنان وغابا في عناق حار وهو يهمس باسمها ..

تمـــــت

www.elromancia.com